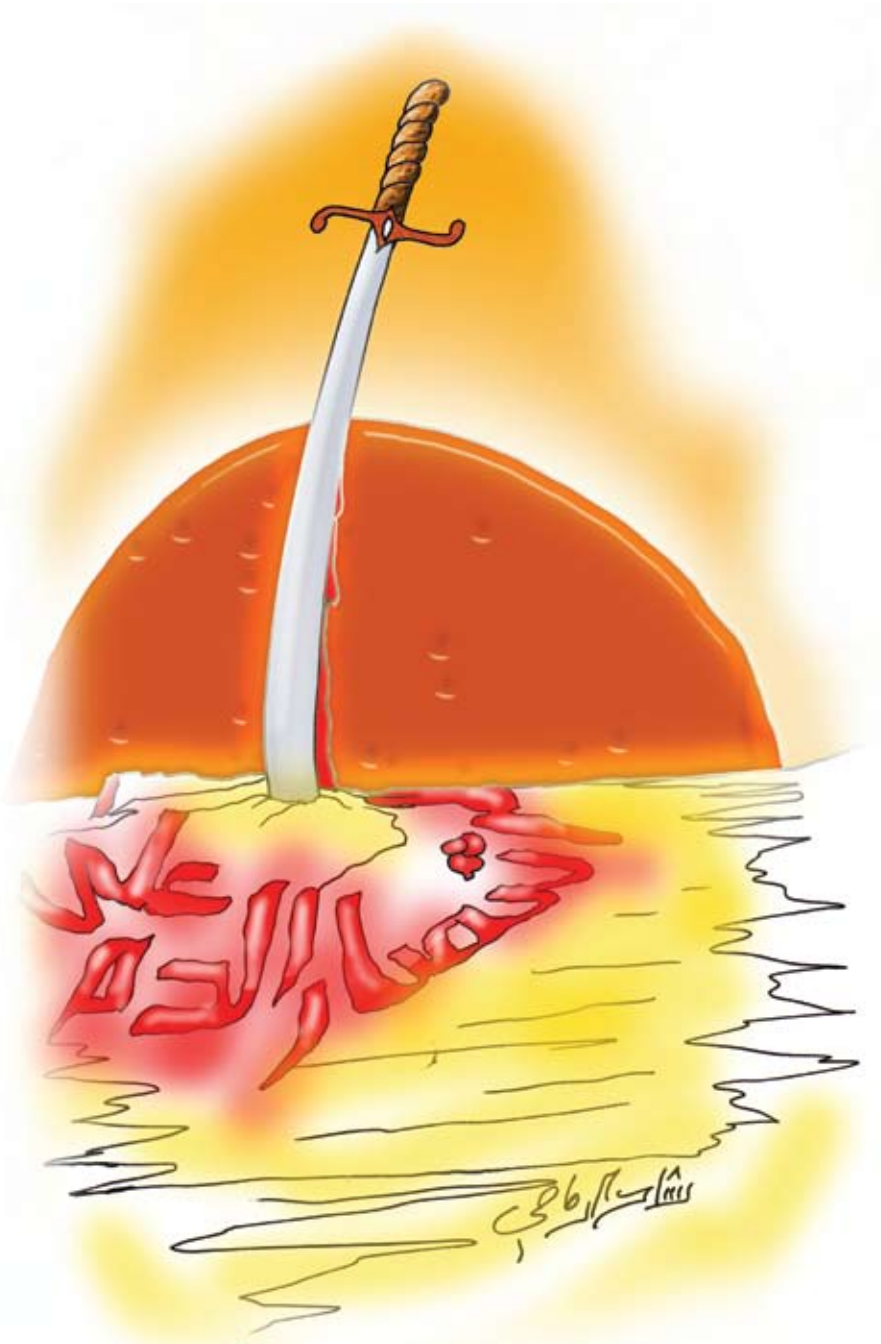

غابت الشمس وشهدت بأم عينيها...

انتصار الدم على السيف...

السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره

قصيدة:

رحلة في جرح الحسين*

جاسم الصحيّح •

حَـمـلـتُ جَـنـازةَ عَـقـلـي مَعي ... وجـئـتُـكَ فـي عـاشـقٍ لا يعي
أحـسـكَ مـيـزانَ مـا أدّعـيـه ... إذا كـانَ فـي الـلّـهِ مـا أدعـي
أقـيـسُ بـحـبِّـكَ حـجـمَ اليقينِ ... فـحـبُّـكَ فـيـمـا أَرى مَـرجـعـي
خـلـعـتُ الأسـاطـيـرَ عَـنـي سـوى ... أسـاطـيـرِ عـشـقِـكَ لـمْ أَخـلـعِ
وغصتُ بجرحِكَ حيثُ الشموسُ ... تُـهـرولُ فـي ذلـكَ الـمَـطـلـعِ
وحـيـثُ (المثلثُ) شـقَّ الطريقَ ... أَمـامـي إلـى الـعـالـمِ الأرفـعِ
وعَلّمني أنَّ عـشـقَ (الحُسينِ) ... انـكـشـافٌ على شـفـرةِ المبضعِ
فـعـرَّيـتُ روحـي أَمـامَ السيوفِ ... الـتـي ألْـتـهـمَـتْـكَ وَلـمْ تَشبعِ
وآمـنـتُ بـالـعـشـقِ نبع الـجـنـونِ ... فـقـدْ بـرئَ الـعـشـقُ مِـمَّـنْ يَعي
وَجـئـتُـكَ فـي نـشـوةِ الـلاعـقـولِ ... أَجـرُّ جـنـازةَ عَـقـلـي مَـعـي

* * * * *

أَتـيـتُـكَ أَفـتـلُ حـبـلَ الـسـؤالِ: ... مَتى ضمَّكَ العشقُ في أَضلُعي؟
عرفتُكَ في الطلقِ جسرَ العبورِ ... مـنَ الـرحـمِ لـلـعـالـمِ الأوسـعِ
وَوالـدتـي بـكَ تَـحـدو المخاضَ ... عَـلـى هـودجِ الألـمِ الـمُـمـتـعِ
وَقـد سِـرتَ بـي للهوى قَبلَما ... يـسـيـرُ بـيَ الـجـوعُ لَـلـمُـرضـعِ
لمستُكَ في المهدِ دفءَ الحنانِ ... عَـلـى ثـوبِ أمـي، وَالـمـلـفـعِ
وَفـي الرضعةِ البِكرِ أنـتَ الـذي ... تـقـاطـرْتَ فـي الـلـبـنِ الـمـوجـعِ

* منتقاة من ديوان الشاعر (أعشاش الملائكة).

وقبلَ الرضاعةِ.. قبلَ الحليبِ.. تقاطَرَ اسمُكَ في مَسمعي
فأشرَقتَ في جَوهري ساطعاً بما شعَّ من سرِّكَ المودعِ
بكيتُكَ حتّى غسلتُ القماطَ على ضفتي جرحكَ المشرعِ
وما كنتُ أبكيكَ لو لمْ تكنْ دماؤُكَ قدْ أيقظَتْ أدمعي
كبرتُ أنا.. وَالبكاءُ الصغيرُ يكبرُ عبرَ الليالي معي
ولمْ يبقَ في حجم ذاكَ البكاءِ مصبٌّ يلوذُ بهِ مَنبعي
أنا دمعةٌ عمرُها (أربعون) جَحيماً منَ الألمِ المترعِ

* * * * *

هنا في دمي بدأت (كربلاءُ) وتمت إلى آخر المصرعِ
كأنك يوم أردت الخروجَ عبرت الطريق على أضلعي
ويوم انحنى بك متن الجوادِ سقطت ولكن على أذرعي
ويوم توزعت بين الرماحِ جمعتك في قلبي المولعِ
فيا حادياً دوران الإباءِ على محور العالم الطيّعِ
كفرتُ بكل الجذور التي أصابتك ريّا ولم تفرعِ
ألستَ أبا المنجبين الأباةِ إذا انتسب العقم للخنعِ
وذكراك في نطف الثائرينَ تهز الفحولة في المضجعِ
تطل على خاطري (كربلاءُ) فتختصر الكون في موضعِ
هنا حينما انتفض الأُقحوانُ وثار على التربة البلقعِ
هنا كنت أنت تمط الجهاتِ وتنمو بأبعادها الأربعِ
وتحنو على النهر.. نهر الحياةِ.. يحاصره ألف مستنقعِ
وحين تناثر عقد الرفاقِ فداءً لدرته الأنصعِ
هنا لبّت الريح داعي النفيرِ وحجّت إلى الجثث الصرعِ
فما أبصرت مبدعاً كـ(الحسينِ) يخطّ الحياة بلا إصبعِ
ولا عاشقاً كـ (أبي فاضلٍ) يجيد العناق بلا أذرعِ
ولا بطلاً مثلما (عابسٍ) يهشّ إذا سار للمصرعِ

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد (عدد خاص)

كلمة العدد

نحو الشعائر الحسينية

المشرف العام ٨

الثورة الحسينية في فكر الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ عبد الرزاق فرج الله ١٠

القيم التربوية في حديث الإمام الحسين عليه السلام

د. حسين سامي شير علي ١٤

مع السيد جعفر الحلي في رثاء الإمام الحسين عليه السلام

د. حسن الخاقاني ٢٨

الشهيد السيد نصر الله الحائري

د. حيدر نزار السيد سلمان ٣٨

خطيب كربلاء الأول الشيخ هادي الكربلائي

أحمد الكعبي الطويرجاوي ٤٤

استطلاع المجلة

مرقد شهيد الجوزجان يحيى بن زيد بن علي

حيدر الجد ٤٨

قصيدة: من وحي عاشوراء

عبد الأمير جمال الدين ٦٦

مقام (موقف الأمة فضة) خادمة الزهراء عليها السلام

سلمان هادي آل طعمة ٦٨

أضواء على خطبة الحسين عليه السلام في صبيحة يوم العاشر

د. حيدر كريم الجمالي ٧٢

ص ٤٤

ص ١٤

ص ٦٨

دراسة مجازية لجدوى مشروع الإمام الحسين عليه السلام

م. م. علي الفضل ٨٢

تاريخية الثورة الحسينية في أبعادها الثلاثة

الشيخ حسن كريم الربيعي ٨٨

نهضة الحسين عليه السلام في فكر الباندیت وياس ديومسرا

حسين جهاد الحساني ٩٦

فلسفة النهضة الحسينية

م. م. ثائر عباس النصراوي ١٠٠

الإمام الحسين عليه السلام من الشهادة إلى الخلود

د. محمد إسماعيل ١٠٥

قصيدة: في رحاب الحسين عليه السلام

الخطيب السيد مرتضى القزويني ... ١١٤

قراءة العلماء للمجالس الحسينية

أحمد علي الحلي ١١٦

قراءة في جهاد الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ صاحب نصّار ١٢٢

ومضة.. رسالة

د. محمد زوين ١٢٦

أجوبة مسابقة العدد (٢٠) وأسماء الفائزين ١٢٨

مسابقة العدد (٢٢) ١٢٩

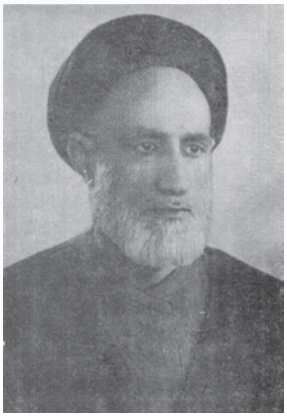

ص ١١٦

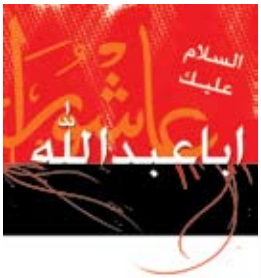

ص ١٢٢

ص ١٠٥

نحو الشعائر الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

يستقبلُ العالم الإسلامي محرّماً الحرام بالكآبة والحزن، موشّحاً بالسواد استذكاراً لما حلَّ بريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وتجديداً لذكرىٰ قدَّرَ اللهُ لها أن تخلد ما بقي الدهر حتى لا يقر الظلم والطغيان، على مدىٰ العصور، ومن أي فرد من أفراد المجتمع، فيجتمع المسلمون في أنحاء المعمورة يؤدون مراسيم العزاء كلٌّ بحسب وجهة نظره في التعبير عن المصيبة من جهة، وفي رفضه لما حلّ بالحسين عليه السلام وآله وصحبه عليهم السلام المستتبع لرفض الظلم والتعدي من كلّ من يحاول التسلط على الرقاب من دون مشروعية من جهة أخرى.

فنرى اختلاف المراسيم باختلاف القوميات والأعراف، بل باختلاف الثقافات العامة لكلّ فرد، حتى قد يصل الحال إلى اختلافها باختلاف الأعمار، فللكبار مراسيم تختلف عنها بالنسبة للصغار، وللرجال مراسيم تختلف عنها بالنسبة للنساء، وللطبقة المثقفة مراسيم تختلف عنها بالنسبة للطبقات العامة في المجتمع، مما يعطي ذلك صورة عامة لتحول البلدان الإسلامية في هذا الموسم الشريف إلى بلدان عليها طابع الحزن بجميع طبقاتها تعيش حالة خاصة من حالات التبدل بالمظاهر العامة، فمن متوشح بالسواد، إلىٰ مستعرض لمصيبة الحسين عليه السلام والناس حوله يبكون، إلى لاطم على صدره تعبيراً عن مشاعر الحزن... إلى غير ذلك من المظاهر.

ونحن إذ نستعرض حالة التبدل التي تعيشها البلدان الإسلامية الشيعية عند حلول محرّم الحرام نحو شعائر الحزن والمصيبة وإبداء التألم والتوجع لما حلّ بالحسين عليه السلام، نحاول حلّ إشكالية بسيطة قد تطرح بين أوساط المجتمع المتحضر، حاصلها: توحيد هذه الشعائر، وجعلها شعائر مدروسة من جميع جهاتها، يشترك فيها جميع الأفراد على اختلاف طبقاتها، واتجاهاتها الثقافية والمعرفية، لغرض

السيطرة عليها مع سدّ جميع الثغرات التي قد يحاول الأعداء التشهير بها من خلال ذلك. وهذه الإشكالية قد تطرح من قبل الطبقة المثقفة بشكل أو بآخر.

بل قد أصبحت حديثاً يخاض بين الحين والآخر، وموضوع مناقشة بين الأطراف حتى قد يحتدم النقاش. وفي التصور أنه نقاش عقيم، لو التفتنا إلى قضية هامة وهي ـ باختصار شديد ـ أن حالة التبدل بالمظاهر العامة والخاصة التي يعيشها المجتمع الإسلامي الشيعي لما كانت ناشئة من اشتراك الجميع بإبداء هذه المظاهر، كما أسلفنا الإشارة إليه، كلٌّ حسب طاقته، ومعرفته، بعد أن كانت له حرية التعبير عن مشاعره وكوامنه النفسية. فلو أرادت النخبة من طبقات المجتمع أن تقرر مراسيم خاصة تحددها، وترفض مراسيم أخرىٰ، لاختلف الحال تماماً، ولفرضت على النفوس مشاعر خاصة حينئذ. مع أنه لا معنى سيكولوجياً لأن تفرض على النفوس مشاعر لا تنبع منها، ولا ترغب فيها فتفقد هذه المراسيم حينئذ روحها، لعدم التفاعل معها من كثير من الطبقات الاجتماعية، لأن لكل فرد من أفراد المجتمع مشاعره وكيفية إبدائها تختلف من فرد لآخر، وفرضها على المجتمع بشكل عام يفقدها حيويتها، كما هو واضح لكل أحد لو التفت إلى هذه الجهة.

ونسأل الله سبحانه أن يوفق الجميع في العمل على خدمة هذه القضية المقدسة ■

المشرف العام

إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا

الثورة الحسينية
في فكر الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي •
أستاذ في الحوزة العلمية

ينابيع

قال الإمام الصادق عليه السلام في بعض فقرات زيارته لجده الإمام الحسين عليه السلام: (السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره)، حيث يعطي الإمام الصادق عليه السلام بهذه الفقرة جوهر وقيمة وعمق الثورة الحسينية، ويلمح إلى الخصوصية التي تميزها عن غيرها من الثورات، لذا يقع الحديث في هذا المضمون الذي يلمح إليه الإمام الصادق عليه السلام في محورين:

المحور الأول: ما هو المقصود من الثأر:

الثأر يعني: الدم، ثم عدّي إلى كل حق، فيقال: لي في عنق فلان ثأر، أي: لي في ذمته حق فإذا كان المقصود للإمام الصادق عليه السلام هو المعنى الخاص وهو الدم فكأنه يقول: السلام عليك يا دم الله، فيكون إضافة الدم لله عز وجل بمعنى: أن الله تعالى هو الذي يملك هذا الدم وهو وليّه.

المحور الثاني: ما هو المدلول لهذا النص: يؤكد الإمام الصادق عليه السلام للأمة من خلال هذا الخطاب الذي يوجهه لجده الحسين عليه السلام أمرين مهمين يمثلان

مقام الإمام الصادق عليه السلام في كربلاء

عمق وخصوصية الثورة الحسينية، وهما:

الأول: ربانية الثورة الحسينية، بمعنى أنها لم تكن ثورة قد فرضها مزاج خاص ولا إنفعال نفسي معين وإنما هي ثورة قد خطط لها الله عز وجل بعمله وحكمته ورسم لها غايتها، وحدد لها طريقها وصنع لها تأريخها وكيفية إنتصار الحق فيها.

فالإنسانية كانت تتخابر وتتداول أنباء هذه الثورة منذ زمن الأنبياء عليهم السلام إلى أن ختم الله الرسل برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي بكى ولده الحسين عليه السلام في كثير من المواقف، وذكر ما يلقاه من الطغاة والقساة المردة من أمته، ولا يسعنا ذكر الشواهد على هذه الفكرة، بل نترك الأمر لمن شاء أن يتتبع ذلك في موسوعات التاريخ.

ويكفينا شاهد واحد على هذه الحقيقة هو: أن الإمام الحسين عليه السلام لما حمل ثقله وأهله ونساءه إعترضه معترض ليقول له: إن كنت قد أمتنعت عن البيعة ليزيد وتعلم أنك مقتول إن لم تبايع فعلام حملت عائلتك ونسائك؟ فقال عليه السلام: (شاء الله أن يراهن سبايا).

الثاني: مشروعية الموقف الذي سجله الإمام الحسين عليه السلام على ساحة الطف وبالتالي مشروعية الدم الذي أريق على هذه الساحة، مما يكشف عن بطلان ما أثاره المغرضون من شبهات ومؤاخذات وضبابية على هذه الثورة ومن هذه المؤاخذات:

أولا: أن الحسين عليه السلام خرج على وليّ الأمر ومن خرج على ولي الأمر فهو بغيّ والباغي ينبغي أن يقاتل وعلى هذا فكان يزيد محقاً في

قتال الإمام الحسين عليه السلام، وأعتقد أن هذا ما طرحه بن عربي وأمثاله.

ثانياً: بما أن المسلمين قد أجمعوا وأنسجموا مع الحكم القائم، بغض النظر عن شكل هذا الحكم فيكون الحسين عليه السلام بهذا الموقف قد شق عصا وشمل المسلمين.

ثالثاً: بما أن الحسين عليه السلام كان على يقين أنه سيقتل ما لم يبايع حاكم زمانه، وبذلك يكون قد ألقى بنفسه إلى التهلكة.

فهذه تصورات تهدف كلها إلى سلب مشروعية الثورة الحسينية، لذا فإن خطاب الإمام الصادق عليه السلام لجده الحسين عليه السلام يحمل في ثناياه مضموناً عالياً من القناعة والإيمان بأحقية هذه النهضة، وبضخامة المردود الذي سجله موقف الإمام الحسين عليه السلام لصالح الإسلام والأمة، والذي تذوب أمامه الشبهات والمؤاخذات والمواقف الزائفة، مضافاً إلى ذلك أن هناك ثلاثة أدلة لشرعية الثورة الحسينية:

الأول: السند التاريخي الذي يعني ما هو تاريخ يزيد وكيف توصل إلى كرسي الخلافة، فهو لم يصل إلى المنصب عن طريق النص ولا الشورى حتى يكون قتاله خروجا على شرعية ولي الأمر كما أنه لا يملك علماً ولا حكمة ولا عدالة تؤهله للخلافة حتى يكون قتاله شقاً لعصى المسلمين.

فإذا ما أبتليت الأمة برجل مثل يزيد فالموقف يتطلب أن تشق العصا بين الحق والباطل، وذلك بحكم القرآن الكريم إذ قال الله عز وجل: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن أنتهوا فإن الله بما يعملون بصير) الأنفال:٣٩.

فالبغاة هم الحكام الدكتاتوريون الذين يبغون دين الله عوجاً، لا الذي يقف بوجه هذا النمط من الأنظمة التخريبية الفاسدة، وإليك ما قاله الإمام الحسن بن علي عليهما السلام بشأن بني أمية، قال: (لو لم يبق من بني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله عوجا).

ولذا لا يعتبر موقف الإمام الحسين عليه السلام تهلكة، إذ أنه وقف من منطلق المسؤولية الشرعية وهو القائل: (إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ فإن الله يحكم بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).

أما التهلكة فهي إتلاف الإنسان نفسه بلا ثمرة أو فائدة دينية أو إجتماعية أو وطنية كيف والإمام الحسين عليه السلام قد سمى ذلك فتحا من أول خطوة على طريق الشهادة فقال: (من لحق بنا فقد أستشهد ومن لم يلحق بنا لم يبلغ الفتح).

وسأل عبيد الله بن طلحة الإمام السجاد عليه السلام حين رجوعه إلى المدينة بعد واقعة الطف: من الغالب؟ فأجابه الإمام السجاد عليه السلام: (إذا دخل وقت الصلاة أذن وأقم تعرف الغالب).

الثاني: السند الشرعي، وهو ما يعني الأدلة المتكثرة على إمامة الحسين عليه السلام عن طريق السنة والشيعة، أبرزها حديث الثقلين الذي يدل على كونه من العترة الذين نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على

خلافتهم، كما نص ﷺ بقوله: (الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وابن تيمية نفسه يروي عن رسول الله ﷺ قوله: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)، بما يحمل هذا النص من الدلالة الصريحة على أن كلا من النهضة أو القعود أمر مشروع لهذين الإمامين عليهما السلام بحكم إمامتهما.

الثالث: السند القانوني، وهو ما يعني أن بنود الصلح الذي أبرم بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية تعطي للإمام الحسين عليه السلام الحق في الثورة على يزيد بن معاوية عند الإخلال بالبند المتعلق بخلافته، فأن هناك مادة في تلك المعاهدة تنص على عدم تولي أحد لمنصب الخلافة بعد معاوية وبالأخص يزيد، بل يؤول الأمر إلى الإمام الحسن بن علي عليهما السلام فإن قتل فلأخيه الحسين عليه السلام، فلما كان الأمر على خلاف هذا البند، حيث تسلط يزيد بن معاوية على الأمة بالقهر والظلم بعد أبيه، وأخذ يلهو ويلعب بمقدراتها، وهي لا تستطيع أن تغيّر شيئاً تحت ظل الرعب والأضطهاد ورقدة الضمير فقد كان لزاماً على الإمام الحسين عليه السلام أن يقول كلمته الفاصلة ويتخذ الموقف الثابت وكما قال شاعر أهل البيت عليهم السلام السيد جعفر الحلي رحمه الله:

لم أدر أين الرجال المسلمين مضوا
وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره
ومن خساسة طبع يعصر الودكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفا
إلا إذا دمه في كربلا سفكا ■

فضل زيارة الحسين عليه السلام

* عن الوشاء، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول:

«إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة».

* عن أم سعيد الأحمسية، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قالت:

«قال لي: يا أم سعيد تزورين قبر الحسين، قالت: قلت: نعم، فقال لي: زوريه فإن زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء».

* عن عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر (عليه السلام)، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

«لو أن أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين بن علي (عليهما السلام) لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأن حق الحسين (عليه السلام) فريضة من الله واجبة على كل مسلم».

كامل الزيارات لابن قولويه ص: ٢٣٦

القيم التربوية
في حديث الإمام الحسين عليه السلام

د. حسين سامي شير علي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع إن تنمية القيم التربوية والأخلاقية في الشخصية المسلمة تعتمد على تكوين الوازع الذاتي في النفس البشرية، فالإنسان إنما هو كائن ذا ضمير حي وإحسان مرهف، يراقب نفسه بنفسه، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره، والوازع الديني والباعث الأخلاقي اللذان يسهم الدين في تثبيتهما في أعماق النفس البشرية هما الضمان الأول والأكيد لسعادة المجتمع وهناءه، وتعد القيم صمام الأمان الكفيل بضبط علاقات الفرد بربه ونفسه ومجتمعه.

والمتطلع في التراث الحديثي للإمام الحسين عليه السلام، لابد أن يدرك اشتماله على كم كبير من النصوص الشريفة التي تتناول في مضامينها العامة، الجوانب التربوية والأخلاقية، التي حرص الإمام الشهيد عليه السلام على ترسيخها ونشرها بين صفوف المؤمنين في حياته الشريفة، وخاصة ما وقع من حديثه أثناء واقعة كربلاء، وما تحمله هذه الأحاديث من دلالات تربوية وأخلاقية أكثر منها عسكرية وتعبوية كما يقتضي واقع المناسبة، مما يدل بالتأكيد إن أهداف المعركة لم تنظر إلى النصر العسكري بعين الاعتبار مثلما نظرت إلى ترسيخ

المبادئ والمثل العليا التي تعني الجانب التربوي والأخلاقي في حياة الفرد المؤمن.

ولأجل إيضاح تلك الظاهرة في حديث الإمام عليه السلام سوف نتناول تلك القيم بدراسة دلالية للنصوص التي توافرت في تلك الجوانب:

١ـ الإيمان بالله تعالى:

كان الإمام الحسين عليه السلام في أشد محنة يدعو أهل بيته وأصحابه إلى ضرورة التمسك بالتقوى واللجوء إلى الله، فها هو يوصي أخته زينب عليها السلام وهو في ساحة المعركة فيقول: (يا أخية اتقي الله، وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون وإن كل شيء هالك إلا وجه الله، الذي خلق الأرض بقدرته، يبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده).

ولم يقتصر الأمر على الدعوة فقط وإنما كان قلبه عليه السلام متعلق بالله، فها هو يأمر أحد أصحابه أن يشاغل أعداءه كي يصلي لله ويعبده، فيقول عليه السلام: (ارجع إليهم، فإن استعطت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنا العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم إني كنت أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار[1]، وفي هذا النص نرى عظمة الصلاة وإيمان المقاتل وأثر الدعاء وفي مثل تلك الأوقات الحرجة نجده يشتاق إلى الصلاة والدعاء واللجوء إلى الله لأن ذلك عنوان المؤمن.

٢ـ الزهد:

كان الإمام الحسين عليه السلام زاهداً في الدنيا، شاكراً لله، فما انقطع عن

الاتصال بربه والعزوف عن الدنيا في كل لحظاته وسكناته، وقد بقي يجسد اتصاله هذا بصيغة العبادة لله، وقد بدأ عليه عظيم خوفه من الله وشدة مراقبته له حتى قيل له: ما أعظم خوفك من ربك، فقال عليه السلام: (لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا)[٣]، ونجده عليه السلام يحمد الله لأن هذه الدنيا دار فناء وزوال فيقول عليه السلام: (الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها وتخيب طمع من طمع فيها)[٣]، وقد سئل عليه السلام: كيف أصبحت؟ فأجاب بلغة الزاهد العابد: (أصبحت ولي رب فوقي، والنار أمامي والموت يطلبني، والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي، لا أجد ما أحب، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عذبني، وإن شاء عفا عني، فأي فقير أفقر مني)[٤]، ونتيجة لذلك كان عليه السلام كثير البر والصدقة، فقد روي أنه ورث أرضاً وأشياء فتصدق بها قبل أن يقبضها، وكان يحمل الطعام في وسط الليل إلى مساكين أهل المدينة لم يبتغ بذلك إلا الأجر من الله والتقرب إليه[٥].

٣ـ الشهادة:

امتداداً لخط أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد صرح الإمام الحسين عليه السلام في أكثر من مناسبة برغبته في الموت في سبيل الله إذ قال: (فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما)[٦]، وكان يرحب بالموت على سبيل نيل العز والشهادة، فكان يقول عليه السلام: (مرحباً بالقتل في سبيل الله)[٧]. وهو ما يجب أن يتصف به المؤمن، وهو التسليم لأمر الله والخضوع له والموت في سبيله، وتأكيداً لذلك نجد الإمام الحسين عليه السلام يقول: (أما والله إني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا قتلنا أم ظفرنا)[٨].

ففي كلا الحالتين انتصار للإنسان المؤمن، ونتيجة لذلك لم ينتصر أعداء الحسين عليه السلام رغم كثرتهم وقتلهم له، بل كان عليه السلام هو المنتصر عليهم بالمبادئ والقيم والموت في سبل الحق، والدليل على ذلك هو خلود الحسين عليه السلام حياً في ضمائر المؤمنين، بل والإنسانية جمعاء، فها هو المهاتما غاندي يقول بوضوح: (لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام، ودققت النظر في صفحات كربلاء، واتضح لي إن الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلابد لها من اقتفاء سيرة الحسين)[٩].

٤ـ الشجاعة:

حين نعود بالتاريخ إلى الوراء نجد أن للإمام الحسين عليه السلام بطولات نادرة في الفتوحات الإسلامية، ففي حروب الإمام علي عليه السلام الثلاثة الجمل وصفين والنهروان، إلا أن كل تلك الحروب مهما بلغت من القوة والأصالة، فإنها لا تبلغ شجاعته يوم عاشوراء، تلك التي كانت آية رائعة في تاريخ الإنسانية بلا شك، إذ لم يشاهد الناس في جميع مراحل التاريخ أشجع ولا أربط جأشاً، ولا أقوى جناناً من الإمام الحسين عليه السلام الذي وقف يوم الطف موقفاً حير فيه الألباب، وأخذت الأجيال تتحدث بإعجاب وإكبار عن بسالته وصلابة عزمه، فيقول العقاد بهذا: (ليس في بني الإنسان من هو أشجع قلباً ممن

أقدم على ما أقدم عليه الحسين في يوم عاشوراء)[11].

لقد تحدى أبو الأحرار ببسالته النادرة الطبيعة البشرية، فسخر من الموت وهزأ من الحياة، وقد قال لأصحابه حينما أمطرت عليه سهام الأعداء: (قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم...)[12].

٥ـ العز والكرامة:

من أبرز الصفات التي اتصف بها الإمام الحسين عليه السلام الإباء عن الضيم حتى لقب بـ(أبي الضيم) وهي من أعظم ألقابه ذيوعاً وانتشاراً بين الناس، فقد كان المثل الأعلى لهذه الظاهرة، فهو الذي رفع شعار الكرامة الإنسانية ورسم طريق الشرف والعزة، فلم يخنع ولم يخضع، وها هو يصرح لأخيه محمد بن الحنفية مجسداً ذلك الإباء بقوله عليه السلام: (يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت ليزيد بن معاوية)[13]، وآثر الموت تحت ظلال الأسنة على العيش ذليلاً مسلوب الإرادة، فوقف عليه السلام صارخاً بوجه جحافل الشر والظلم: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد إني عذت بربي وربكم أن ترجمون)[14].

وكان عليه السلام ينادي قائلاً: (ما أهون الموت على سبيل نيل العز وإحياء الحق، ليس الموت في سبيل العز إلا حياة خالدة وليست الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه)[15]، لذا وصفه المؤرخ اليعقوبي بأنه شديد العزة[16]، وكيف لا يكون كذلك وكلامه يوم الطف يعبر عن أسمى مواقف العزة لأصحاب المبادئ والقيم وحملة الرسالات، وهو يصور للمؤمنين العزة والمنعة والاعتداد بالنفس، فيقول عليه السلام: (ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية ونفوس أبيه من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[17].

٦ـ العلم:

يقول الإمام الحسين عليه السلام في العلم: (العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل والشرف والتقوى...)[18].

وكان عليه السلام يحث على طلب العلم والمعرفة ويشجع عليهما بحيث لم يكن يقصر ذلك على شريحة دون أخرى، فقد روي إن إعرابياً من البادية قصد الإمام الحسين عليه السلام فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: يا أعرابي فيم قصدتنا؟

قال: قصدتك في دية مسلمة إلى أهلها.

قال عليه السلام: أقصدت أحداً قبلي؟

قال: عتبة بن أبي سفيان فأعطاني خمسين ديناراً، فرددتها عليه وقلت: لأقصدن من هو خير منك وأكرم، وقال عتبة: ومن هو خير مني وأكرم لا أم لك؟ فقلت الإمام الحسين بن علي، وأما عبد الله بن جعفر، وقد أتيتك بدءً لتقيم عمود ظهري وتعيدني إلى أهلي.

فقال الحسين عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرء النسمة، وتجلى بالعظمة، ما في ملك ابن بنت نبيك إلا مائتا دينار فأعطه إياها يا غلام، وإني أسألك ثلاث خصال إن أنت أجبتني عنها أتممتها خمسمائة دينار.

فقال الإعرابي: أكل ذلك احتياجاً إلى علمي، أنتم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة

ومختلف الملائكة؟

فقال الحسين عليه السلام: لا ولكن سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطوا المعروف بقدر المعرفة.

فقال الإعرابي: فسل، ولا حول ولا قوة إل بالله.

فقال الحسين عليه السلام ما أنجى من التهلكة؟

فقال: التوكل على الله.

فقال عليه السلام: ما أروح للهم؟

قال: الثقة بالله.

فقال عليه السلام: أي شيء خير للعبد في حياته؟

قال: عقل يزينه حلم.

فقال عليه السلام: فإن خانه ذلك؟

قال: مال يزينه سخاء وسعة.

قال عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟

قال: الموت، والفناء خير له من الحياة والبقاء.

قال فناوله الإمام الحسين عليه السلام خاتمه وقال عليه السلام: بعه بمائة دينار، وناوله سيفه وقال عليه السلام: بعه بمائتي دينار، واذهب فقد أتممت لك خمسمائة دينار[١٩].

ولقد كان مجلس الإمام الحسين عليه السلام في المسجد النبوي تلتف حوله حلقة واسعة من طلاب المعرفة ورواد العلم وأصحاب الحاجات، وقد سأل رجل من قريش، معاوية أين يجد الحسين؟ فقال له معاوية: (إذا دخلت مسجد رسول الله فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله)[٢٠].

٧ـ الحكمة:

سار الإمام الحسين عليه السلام بوصفه إنسان رسالي وتلميذ القرآن الكريم على الخطوات التي دعا إليها القرآن (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)، فكان لا يدخر جهداً في أن تحقق نهضته المباركة أهدافه المنشودة وفق ما دعا إليه كتاب الله تعالى، فكان يخاطب المرتدين قائلا: (أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد)[٢١]، ثم يضيف عليه السلام: (وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا)[٢٢].

ولم يكتف الإمام الحسين عليه السلام في دعواه على المرحلة الأولى وهي الحكمة، وإنما مارس دور الواعظ والمرشد، فقال عليه السلام خطيباً فيهم: (عباد الله اتقوا الله وكونوا في الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت لأحد أو بقي عليها أحد كانت الأنبياء أحق بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى بالقضاء، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للبلاء وخلق أهلها للفناء).

ولقد كان أبي عبد الله عليه السلام يتصف بكل ما في الحكمة من فضائل ويدعو لها مثل الفطنة والكياسة والذكاء وحسن التصور، إذ يقول في إحدى حكمه: (لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك، ولا تعد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت...)[٢٣].

وهناك كثير من النصوص الواردة في فكر الإمام الحسين عليه السلام ما يشير إلى حكمته وفطنته حتى وهو في أشد المواقف خطورة.

يروى انه عند اعطاء راية العباس (عليه السلام) بين يدي يزيد "لعنة الله عليه" سأل: لمن هي فأجيب فسأل عن المكان الذي لم يمسه ضرب السيوف وطعن الرماح ونبال في الراية.. فأجيب بأنه مكان كف العباس (ع) (قبضة الراية)....

٨ـ الحرية:

لانتهاك الحريات صنفان: الأول داخلي، وهو الانتهاك الذي يأتي من قبل الإنسان نفسه على نفسه، فيصادر حقوقه أو يتنازل عنها بنفسه، وهو أشد خطورة من غيره، ولم يغفل الإمام الحسين عليه السلام جانبه وإنما أشار إليه في حديثه وفي أشد المواقف وأخطرها ليوجه الناس إلى مدى خطورته على الإنسان المؤمن، فيقف بوجه أعدائه ويخاطبهم متحدياً لهم بأنه لن يتنازل عن حريته وذلك بقوله عليه السلام: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد)[٢٤]، وقد بدأ الإمام الحسين عليه السلام بتوضيح هذا الانتهاك مبتدأ بنفسه ليكون تأثر ذلك أبلغ في نفوس الآخرين، إذ قال عليه السلام: (الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون)[٢٥].

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام حتى لحظات حياته الأخيرة وهو يطالب الإنسان ـ ومن بينهم أعدائه ـ بعدم التفريط بحريتهم بأيديهم، فحين كان واقعاً على الأرض في كربلاء، ولم يفصل بيه وبين الموت سوى لحظات، خاطب قتلته قائلاً: (ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم)[٢٦].

أما بالنسبة للانتهاك الخارجي للحريات، فإنه يتحدد بالظلم الخارجي والذي يصدر عادة من جهة خارجية، وأظهر مصاديق الظلم الخارجي هو ظلم الحاكم تحديداً إذ لديه القدرة على الضغط في استلاب حريات الناس، وقد بين الإمام الحسين عليه السلام هذا الانتهاك وهو يخاطب جده رسول الله صلى الله عليه وآله حين وقف على قبره الشريف إذ يقول: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد خرجت من جوارك كرهاً، وفرق بيني وبينك حيث إني لم أبايع يزيد بن معاوية... وها أنا أخرج من جوارك على الكراهة فعليك مني السلام)[٢٧].

وتأسيساً على ما تقدم، نجد أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد دعا إلى ضرورة مطالبة الإنسان بحقه في الحرية بكافة أشكالها وإن كانت حرية شخصية أو حرية فكرية أو اجتماعية منذ مئات السنين، ومارسها بشكل عملي لدرجة إنه ضحى بكل ما لديه من أجل أن لا ينال من حريته أحد، في حين يتصور البعض أن المطالبة بهذا الحق هو من إنجازات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة (١) والتي تجد جذورها في الثورة الفرنسية عام (١٧٩٨م)، وكأن هذا المبدأ الذي يشكل قيمة أساسية في حياة الإنسان قد بدأ مع الإعلان المذكور والذي أقر عام (١٩٤٨م)، وقد تجاوز هذا الإجحاف حده إلى درجة أن المستشرق (روز نثال) زعم بأن المسلمين في العصر الوسيط ما كانوا يملكون مفهوماً للحرية الإنسانية وما شابهها للمفهوم الإغريقي[٢٨].

٩ـ العفة والاحتشام:

لقد كانت نفس الحسين عليه السلام تعف عن الشهوات وعن الانصياع لمطالب الحياة ومباهجها فيقول عليه السلام: (والإجمال في الطلب من العفة، وليس العفة بمانعة رزقاً)[٢٩]، وكيف لا وهو لا يقتصر على أن تعف نفس الإنسان الشهوات والوقوع

في المحارم، بل يدعو إلى الوقوف بوجه السلطان الذي يتصف بهذه الصفات فيقول عليه السلام: (من رأى سلطاناً جائراً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)[٣٠].

ولم ترتض غيرة الحسين عليه السلام وحشمته أن يعتدى على النساء، فوقف في يوم كربلاء كالجبل يصد عن نساءه ونساء أنصاره سهام الأعداء وضرباتهم وهو ينادي: (أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن جناح)[٣١].

وفي ساحة المعركة، وهو أحوج ما يكون إلى ناصر، بعد أن استشهد كل من حوله تأبى غيرته وحشمته أن تشترك معه امرأة في القتال، بعد أن برزت احدى نساء أصحابه وهي ترى الأعداء محيطون به من كل جانب، فردها إلى المخيم قائلاً لها: (جزيتم من أهل بيت خيراً ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن، فإنه ليس على النساء قتال)[٣٢].

١٠ـ العدل:

جعل الإمام الحسين عليه السلام أهم مواصفات الإمام هو الحكم بالعدل بين الناس إذ قال: (فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط الدائن بدين الحق، والحابس نفسه على ذات الله)[٣٣]، وتأكيداً على العدل الإلهي قال الإمام الحسين عليه السلام: (ما أخذ الله طاقة أحد إلا وضع عنه طاعته، ولا أخذ قدرته إلا وضع عنه كلفته)[٣٤].

ولقد ساوى الإمام الحسين عليه السلام نفسه مع أنصاره، إذ شاركهم في السراء والضراء وفي آمالهم وآلامهم، وعاش في وسطهم يتعرض لما يتعرضون له، ولم يضع فاصلاً بينهم وبينه، فكانت أمواله وأطفاله معهم يبذلها من أجل الحق، وكان عليه السلام لأنصاره وأتباعه قدوة، وهو القائل: (نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم فيّ أسوة)، وهذه هي العدالة في أبهى صورها عندما يتمثلها الإنسان المؤمن وهو يقف في وسط أصحابه وأهله، يجعلهم راضين بحكمه وبقيادته.

١١ـ الصدق:

جسد الإمام الحسين عليه السلام قيمة الصدق والالتزام بالعهود والمواثيق في أشد المواقف خطورة وحراجة، فبعد اتفاقه عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي على أن يسايره فلا يعود إلى المدينة ولا يدخل الكوفة طلب منه الطرماح بن عدي أن ينزل في قبيلة طي ليلتحق به عشرون ألف طائي، فقال له الإمام عليه السلام: (إنه كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف)[٣٥]، فقد وفى بعهده عليه السلام وإن كان قد أفقده التزامه عشرين ألف ناصر له وهو بحاجة إلى أي ناصر.

فلم يمارس عليه السلام الكذب والخداع والتمويه في كلامه وإنما ركز على حقائق معلومة للجميع، موضحاً أهداف حركته النبيلة، وهي إصلاح الواقع المنحرف، إذ قال: (ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنما خرجت لغرض الإصلاح في دين جدي محمد)، وحينما جاءته الأخبار عن مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام لم يخف الأخبار عن أصحابه وإنما أخبرهم بذلك وشجعهم على الانصراف، إذ قال عليه السلام: (هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً،

وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه أو رجل من أخوتي وتفرقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوا وقدروا على قتلي لما طلبوكم)[٣٦].

وكان بين مدة وأخرى يخبرهم إنه سيقتل وتسبى حريمه إذ قال عليه السلام: (إني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بد، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي) لم يخبرهم إنه سينتصر عسكرياً.

١٢ـ الحق:

لقد بنى الإمام الحسين عليه السلام الحق بجميع رحابه ومفاهيمه، واندفع إلى ساحات النضال ليقيم الحق في عموم الأمة الإسلامية، وينقذها من التيارات العنيفة التي خلقت في أجوائها قواعد للباطل، وخلايا للظلم وأوكار الطغيان تركتها تتردى في مجاهيل سحيقة من هذه الحياة، فرأى الإمام عليه السلام أن الأمة قد غمرتهما الأباطيل والأضاليل، ولم يعد ماثلاً في حياتها أي مفهوم من مفاهيم الحق، فانبرى عليه السلام إلى ميادين التضحية والفداء ليرفع راية الحق، وقد أعلن عليه السلام هذا الهدف في خطابه الذي ألقاه أمام أصحابه قائلاً: (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله...)[٣٧].

ويقول عليه السلام في النتائج التي يؤدي إليها التهاون في أداء الواجب، وهو الدعوة إلى الحق والعمل به: (وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم)[٣٨].

أما الصلابة في الحق فهي من مقومات أبي الشهداء عليه السلام ومن أبرز أولوياته، فقد شق الطريق في صعوبة مذهلة لإقامة الحق، ودك حصون الباطل، وتدمير خلايا الجور وذلك من خلال الوقوف أمام أعتى قوى الظلم في زمنه منادياً عليهم: (ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون)[٣٩].

لقد كان الحق من العناصر الوضاءة في شخصية أبي الأحرار عليه السلام، وقد استشف النبي صلى الله عليه وآله فيه هذه الظاهرة الكريمة، فكان صلى الله عليه وآله يرشف دوماً ثغره الكريم ذلك الثغر الذي قال كلمة الله وفجر ينابيع العدل والحق في الأرض.

١٣ـ صلة الرحم:

عد الإمام الحسين عليه السلام صلة الرحم من أسباب بسط الرزق وطول العمر فكان عليه السلام يقول: (من سره أن ينسأ في أجله ويزاد في رزقه فليصل رحمه)[٤٠]، كما إنه امتدح من يصل الآخرين وخاصة من قطع الرحم، واعتبره أوصل الناس، إذ قال: (وإن أوصل الناس من وصل من

قطعه، والأصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا أقدم عليه غداً)[٤١].

وبقي الإمام عليه السلام يدعو إلى صلة الرحم حتى آخر لحظة من حياته، فها هو الشمر ينادي على أبناء أخت له كانوا من أنصار الحسين عليه السلام، ويدعوهم إلى الانسحاب من نصرة الحسين عليه السلام وهو يأمن لهم حياتهم، فما كان من الحسين عليه السلام إلا أن طلب منهم أن يجيبوه حرمة لصلة الرحم التي تربطه بهم فقال عليه السلام مخاطباً إياهم: (أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنه من أخوالكم)[٤٢].

١٤ـ الكرم:

من أهم مزايا أبي الأحرار عليه السلام الجود والسخاء، فقد كان ملاذاً للفقراء والمحرومين وملجأ لمن جارت عليه الأيام، وكان يثلج قلوب الوافدين إليه بهباته وعطاياه، يقول كمال الدين بن طلحه: (وقد اشتهر النقل عنه إنه كان يكرم الضيف، ويمنح الطالب وصل الرحم، ويسعف السائل، ويكسو العاري، ويشبع الجائع، ويعطي الغارم ويشد من الضعيف، ويشفق على اليتيم ويغني ذا حاجة، وقل إن وصله مال إلا فرقهن وهذه سجية الجواد وشنشنة الكريم).

ويذكر إن مالاً وزعه معاوية بين الزعماء والوجهاء، فلما فصلت الحمالون، تذاكر الجالسون بحضرة معاوية أمر هؤلاء المرسل إليه الأموال، حتى انتهى الحديث إلى الحسين عليه السلام، فقال معاوية: وأما الحسين فيبدأ من قتل مع أبيه بصفين، فإن بقي شيخ نحر به الجزور وسقى به اللبن)[٤٣].

ومن هذا نجد أن حتى أعداء الحسين عليه السلام يشيدون بكرمه وسخاءه، إذ لا يجدون دون ذلك مهرباً، وقصده إعرابي فسلم عليه وسأله حاجته، فقال: سمعت جدك يقول: إذا سألتم حاجة ما فاسألوها من أربعة، أما عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل القرآن، أو صاحب وجه صبيح، فأما العرب فشرفت بجدك، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (إذا أردتم أن تنظروا إليّ فانظروا إلى الحسن والحسين)[٤٤].

ولطالما ظل الإمام الحسين عليه السلام يدعو إلى الكرم بالفعل والقول، فقام خطيباً وهو يقول: (أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجو)[٤٥]، فتجسد الكرم في فكره وفعله فقال: (من قبل عطاءك، فقد أعانك على الكرم)[٤٦].

كما إنه عليه السلام جعل من خصلة البخل أسوأ ما يمكن أن يتصف بها الملك فقال عليه السلام: (شر خصال الملوك: الجبن من الأعداء، والقسوى على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء)[٤٧]، كما إنه عليه السلام جعل من الشح فقر ومن السخاء غنى، إذ قال: (الشح، فقر، والسخاء غنى، والرفق لب)[٤٨].

١٥ـ الصبر:

ضرب الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الشدائد طوال عمره الشريف، ولعل أعظم موقف يشهد له بعظيم صبره، هو وقفته يوم عاشوراء إذ كان يزداد صبراً وعزيمة كلما اشتد الموقف قساوة، فتسلح بالصبر على الأذى في سبيل الله تعالى، وهو القائل: (ومن رد

عليّ هذا أصبر حتى يقض الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين)[٤٩]، والحسين شخصية متفردة بجميع صفات الكمال، وتجسدت فيه كل صور الأخلاق الفاضلة، وقد أراد أن يضفي من كماله على أصحابه وأهل بيته بوصاياه لهم بالصبر الجميل وتوطين النفس واحتمال المكاره، ليستعينوا بذلك في تحمل الأعباء ومكابدة الآلام، وليحوزوا على منازل الصابرين وما أعد الله لهم، فخاطبهم عليه السلام قائلاً: (إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصبر والقتال)[٥٠]، ثم ناداهم وهو يرى السيوف تتناوشهم قائلاً لهم عليه السلام: (صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً)[٥١]، وهو لم يوصي أخته السيدة زينب عليها السلام بمال أو بنون، وإنما يوصيها بالصبر على البلاء وعدم الانكسار أمام مصائب الحياة، فيقول لها: (يا أخية، إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليّ جيباً ولا تخمشي عليّ وجهاً...)[٥٢].

١٦ـ العمل:

أكد الإمام الحسين عليه السلام على العمل وقيمته كما يتضح ذلك في قوله عليه السلام: (ولا تتكل على القدر اتكال مستسلم، فإن ابتغاء الرزق من السنة)[٥٣] على أن يبتغي الإنسان الاعتدال في العمل، لا أن يعده الغاية القصوى التي يسعى إليها فيهلك نفسه دونها على حساب الجوانب الإنسانية الأخرى، وأثر عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في ذلك: (لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه)[٥٤].

١٧ـ الحلم:

تأدب الإمام الحسين عليه السلام بآداب النبوة، وحمل روح جده الرسول صلى الله عليه وآله يوم عفا عمن حاربه من المشركين، فكان الحلم من أسمى صفات أبي الشهداء عليه السلام ومن أبرز خصائصه، إذ كان لا يقابل مسيئاً بإساءته ولا مذنباً بذنبه وإنما كان يغدق عليهم ببره ومعروفه شأنه في ذلك شأن جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي وسع الناس جميعاً بأخلاقه وفضائله، فها هو يوصي ابن عباس في محاورته له فيقول الإمام عليه السلام: (يا ابن عباس، لا تتكلمن بما لا يعنيك، فإنني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمن بما يعنيك حتى ترى له موضوعاً، فرب متكلم قد تكلم بحق فغيب، ولا تمارين حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يغلبك، والسفيه يرديك)[٥٥].

ولم تغب عنه صفة الحلم وهو في ساحة المعركة والعدو يحيط به من كل جانب إذ طلب منه أحد أصحابه وهو في الطف أن يهاجمهم فأجابه الإمام الحسين عليه السلام بلسان حليم: (ما كنت لأبدأهم بقتال)[٥٦]، فيعود ويخاطب معسكر الأعداء بعد أن تأكد من أنهم قد ساروا في طريق الضلالة وإنه ليس هناك من سبيل لهدايتهم فقال عليه السلام: (دعوني فلأذهب في هذه البلاد العريضة حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس)[٥٧]، وبذلك ألقى عليهم الحجة بحلمه إذا قتلوه وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٨ـ التواضع:

جبل الإمام الحسين عليه السلام على التواضع ومجافاة الأنانية فقد كان يعيش في الأمة لا يأنف من فقيرها ولا يرتفع عن ضعيفها

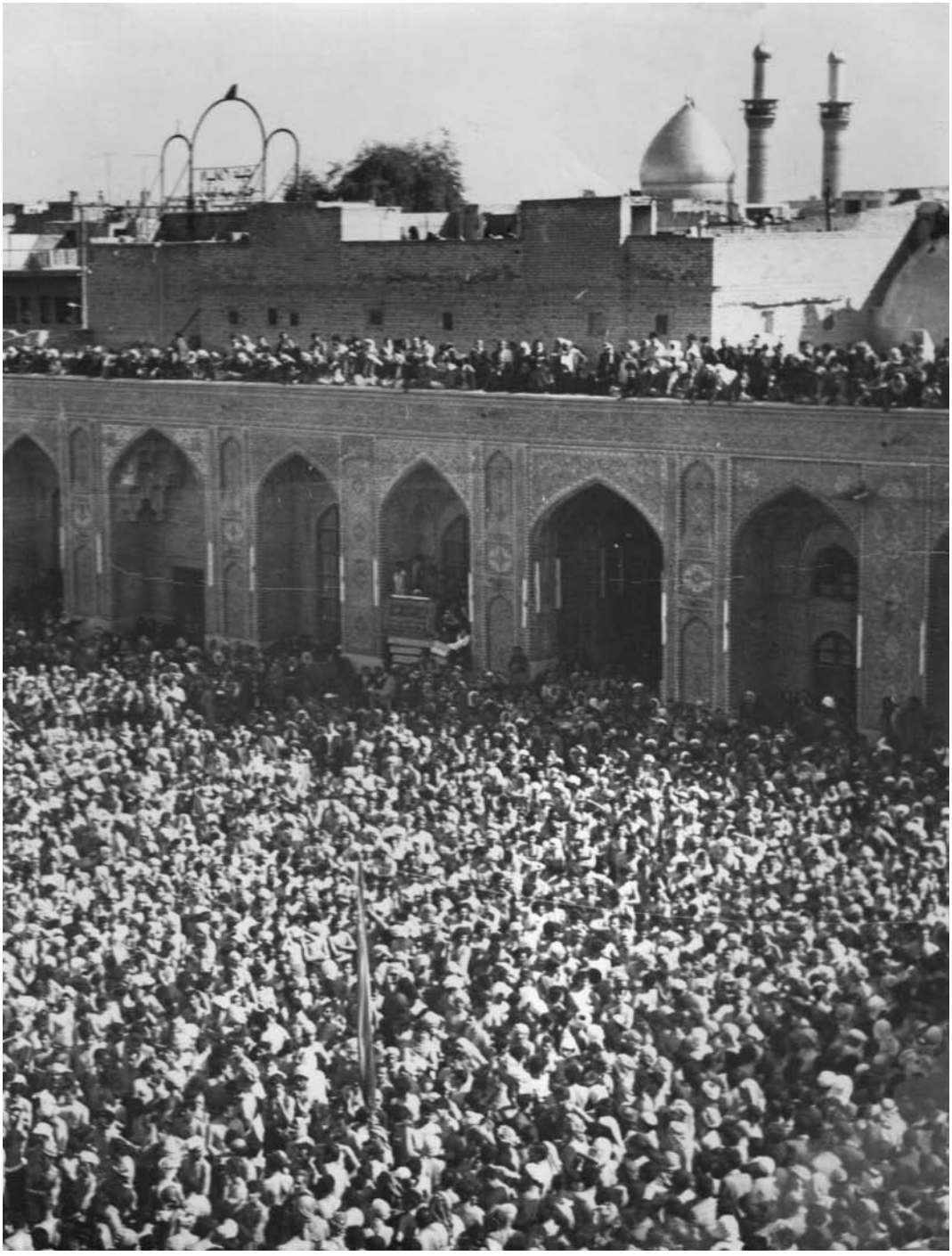

جانب من ركضة طويريج في ستينيات القرن الماضي

ولا يتكبر على أحد فيها، إذ ورث هذه الخصائص من جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي أقام أصول الفضائل ومعالي الأخلاق في الأرض، فقد روي إنه عليه السلام مر بمساكين يأكلون في (الصفة)، فقالوا: الغداء، فقال عليه السلام: إن الله لا يحب المتكبرين، فجلس وتغدى معهم ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله وقال لزوجته: اخرجي ما كنت تدخرين[٥٨].

وقد وجد على كاهله الشريف بعد وقعة الطف أثراً بليغاً كأنه من جرح عدة صوارم متقاربة، وحيث عرف الشاهدون إنه ليس من أثر جرح عادي، سألوا علي بن الحسين عليه السلام عن ذلك؟ فقال عليه السلام: (هذا مما كان ينقل الجرب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين)[٥٩].

١٩ـ الأمانة:

لم يتجاهل الإمام الحسين عليه السلام أهمية الأمانة ودورها في حياة المجتمع وهو ابن بنت رسول الله عنوان الأمانة، فشدد عليها ودعا إلى حفظها حتى وإن كانت لفظية وليست مادية فقال عليه السلام: (الصدق عز، والكذب عجز، والسر أمانة) فهو يدعونا إلى صيانة الأمانة وإن كانت سراً باعتباره من خصوصيات الناس التي يجب أن لا تذاع.

والأمانة هي قول الحق والإجهار بالصدق من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف بوجه الظلم، لأنه دعاء إلى الإسلام كما قال الإمام الحسين عليه السلام: (بدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفيء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها)[٦٠].

٢٠ـ التضحية:

أقيم المجتمع المسلم الأول على أكتاف رجال قاموا بالتضحية بكل أنواعها إنفاقاً للمال وبذل للوقت والجهد وتضحية بالنفس والأهل، كل ذلك في سبيل الله وتبعهم رجال واصلوا المسيرة وعلى رأسهم سيد الشهداء الحسين عليه السلام، الذي مثل التضحية بأروع معانيها أعظم تمثيل، فقد ضحى بالنفس والمال والأهل والبنين في سبيل الله وخضوعاً لأمر الله، فها هي أم سلمة تحذره من الذهاب إلى كربلاء خشية موته، فيجيبها عليه السلام قائلاً: (يا أماه قد شاء الله عز وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً)[٦١]، كما إنه كان ينادي يوم الطف في أعلى صوته قائلاً:

(إن كان دين محمد لم يستقم
إلا بقتلي فيا سيوف خذيني)

فهل هناك تصريح بالتضحية في سبيل الله أكثر من ذلك.

ومن هنا نجد الإمام الحسين عليه السلام كان مستعداً للتضحية بنفسه في سبيل المبادئ التي يحملها قبل أن تقوم واقعة كربلاء وليس كما يصوره البعض بأنه أخطأ من الناحية التكتيكية كما يسمه بعض الباحثين في المصطلح العسكري، ذلك

أن الإمام الحسين عليه السلام كان على يقين من نبل مبادئه ومصاديقها، لذا سعى بالتضحية بحياته من أجل تلك المبادئ والقيم■

(١) الطبري، التاريخ، ٣١٤/٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٥٨/٢.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٠/٤٤.
(٣) المصدر نفسه، ٥/٤٥.
(٤) المصدر نفسه، ١١٦/٧٨.
(٥) الإمام الحسين سيد الشهداء، أعلام الهداية، ٤٧.
(٦) الطبري، التاريخ، ٣٠٧/٣. وغيره.
(٧) المصدر نفسه، ٣٠٦/٣.
(٨) المصدر نفسه، ٣٠٧/٣.
(٩) مكتبة الإمام الحسين عليه السلام، قالوا في الإمام الحسين عليه السلام شبكة الشيعة الإسلامية.
(١٠) هاشم معروف الحسيني، سيرة الأئمة الإثنى عشر، ١٦/٢.
(١١) عباس محمود العقاد، أبو الشهداء، ص٤٦.
(١٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٦٦/٤٤.
(١٣) المصدر نفسه، ٣٢٩/٤٤.
(١٤) الطبري، التاريخ، ٣٣٠/٤.
(١٥) المصدر نفسه، ٣٠٦/٣.
(١٦) تاريخ اليعقوبي، ٢٩٣/٢.
(١٧) السيد محسن الأمين، الغدير، ٣٠٦/١.
(١٨) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢٨/٧٨.
(١٩) نور الله الحسيني، إحقاق الحق، ٤٤٠/١١.
(٢٠) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسين، ١٣٧/١.
(٢١) تاريخ الطبري، ٣٨٠/٣.
(٢٢) المصدر نفسه، ٢٩٧/٣.
(٢٣) السيد محسن الأمين، المصدر السابق، ٦٢١/١.
(٢٤) تاريخ الطبري، ٣١٨/١.
(٢٥) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ٢٠٣/٨.
(٢٦) أبي مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، ص٥٥.
(٢٧) فخر الدين الطريحي، المنتخب، ص٤١٠.
(٢٨) رضوان السيد، حقوق الإنسان والفكر الإسلامي المعاصر، مجلة العربي الكويت ٢٠٠١م، ص١٥٤.
(٢٩) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٧/١٠٣.
(٣٠) تاريخ الطبري، ٣٠٦/٣.
(٣١) المجلسي، بحار الأنوار، ٥١/٤٥.
(٣٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٦٤/٢، بحار الأنوار، ١٧/٤٥.
(٣٣) تاريخ الطبري، ٣٥٣/٥.
(٣٤) بحار الأنوار، ١١٧/٧٨.
(٣٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٠/٤.
(٣٦) المصدر نفسه، ٥٥٩/٢.
(٣٧) تاريخ الطبري، ٣٠٧/٣.
(٣٨) ابن شعبة الحراني.
(٣٩) أبو فرج الاصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١٨.
(٤٠) بحار الأنوار، ٩١/٧٤.
(٤١) المصدر نفسه، ١٢١/٧٨.
(٤٢) تاريخ الطبري، ٣١٤/٣.
(٤٣) باقر شريف القرشي، المصدر السابق، ٦٧/٢.
(٤٤) السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، ٢٥٢/٣.
(٤٥) بحار الأنوار، ١٢١/٧٨.
(٤٦) المصدر نفسه، ٣٥٢/٧١.
(٤٧) المصدر نفسه، ١٨٩/٤٤.
(٤٨) تاريخ اليعقوبي، ٢٤٦/٢.
(٤٩) بحار الأنوار، ٣٣٠/٤٤.
(٥٠) المصدر نفسه، ٨٦/٤٥.
(٥١) المصدر نفسه، ٣٦/٤٥.
(٥٢) المفيد، الإرشاد، ص٢٣٢.
(٥٣) النوري، مستدرك الوسائل، ٣٥/١٣.
(٥٤) بحار الأنوار، ٣٥/٤٥.
(٥٥) المصدر نفسه، ٧٨/ ١٢٤.
(٥٦) تاريخ الطبري، ٣٠٩/٣.
(٥٧) المصدر نفسه، ٣١٢/٣.
(٥٨) ابن عساكر الدمشقي، تاريخ دمشق، ١٦٥/٢٠.
(٥٩) بحار الأنوار، ١٤٥/٧٧.
(٦٠) الكليني، الكافي، باب أداء الأمانة.
(٦١) بحار الأنوار، ٣٣١/٤٤.

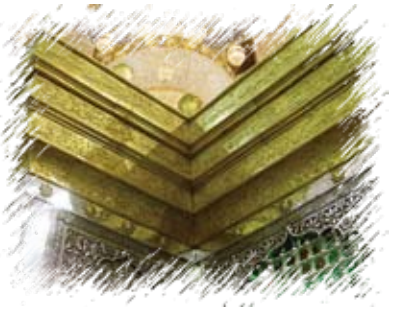

مع السيد جعفر الحلي
في رثاء جده الإمام الحسين عليه السلام

د. حسن الخاقاني •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

الشاعر:

ينابيع هو أبو يحيى السيد جعفر بن أبي الحسين محمد بن محمد حسن بن أبي محمد عيسى بن كامل بن منصور بن كمال الدين بن منصور بن زوبع بن منصور بن كمال بن محمد بن منصور بن أحمد بن نجم بن منصور بن شكر بن أبي محمد الحسن الأسمر بن النقيب شمس الدين أحمد بن النقيب أبي الحسن علي بن أبي طالب محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين النسابة بن أحمد المحدث بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الشهير بالحلي.

ولد في قرية السادة، احدى قرى مدينة الحلة في النصف من شعبان عام (١٢٧٧هـ) ونشأ في ظل والده، وانتقل إلى النجف الأشرف في أوائل شبيبته، وما أن فرغ من دراسة مقدمات العلوم حتى برزت مواهبه في الشعر ليجاري به الفحول من أمثال السيد حيدر الحلي والسيد مهدي البغدادي والشيخ آغا رضا

الاصفهاني وغيرهم.

ذكره الحجة الأكبر الشيخ علي كاشف الغطاء في مقدمته التي وضعها لديوانه فقال: (حلو المحاضرة، سريع البداهة، حسن الجواب، نبيه الخاطر، متوقد القريحة، مصفى القلب، جرئ اللسان، قوي الهاجس فهو يسير إلى النباهة والاشتهار بسرعة، ويتقدم إلى النبوغ والظهور بقوة، وبينا هو في خلال اشتغاله بطلب العلم، كان يسنح على خاطره فيجري دفعاً على لسانه، من دون اعمال فكر، ومراجعة روية البيتان والثلاثة، والنتف والمقاطيع، حسب ما يقتضيه المقام ويناسب الموضع، فيتلوها على الحضور أياً كانوا قلة أو كثرة، ضعة أو رفعة، غير هياب ولا نكل، فتستحسن منه وتستجاد، وتستزاد وتستعاد).

اتصل بأمراء آل رشيد فكانت علقته بهم أقوى من غيرهم من الأمراء لقرب نفسيته منهم، وإنهم كانوا يتذوقون قوله.

وكان لشعوره بكرامته واعتداده بنفسه لا يهمه أن يعرب عن رأيه مهما كلفه الأمر، ومن ذلك قوله في حلقة درس الشيخ محمد الشربياني، وهو أحد زعماء الدين في عصره وممن يصدر الأمر والنهي منه:

للشربياني أصحاب وتلمذة
تجمعوا فرقاً من ها هنا وهنا
ما فيهم من له في العلم معرفة
يكفيك أفضل الحاضرين أنا

مع السيد جعفر الحلي في رثاء جده الإمام الحسين عليه السلام

ومن جرأته وحسن تخلصه قوله في الزعيمين السيد بحر العلوم والسيد القزويني:

شتان بن محمد ومحمد
ذا طبطبائي وذا قزويني
أنا أعرف الرجل المهذب فيهما
بالله لا تسأل عن التعيين

وكان ظريفاً فكهاً له قصص كثيرة ومساجلات واسعة لا يمكن ذكر بعضها لحدتها منها قوله مداعباً الشيخ عباس خميس والشيخ علي رفيش وهما من الشخصيات العلمية البارزة:

أين عيشي بالحويش
ضيق أنكد عيش
بين عباس خميس
وعلي بن رفيش

والحويش منطقة سكنية هي أحد الأطراف الأربعة المكونة لمدينة النجف القديمة.

ومن ذلك قصيدة فكاهية بعثها إلى الشيخ كاشف الغطاء واشتهرت في بيئة النجف خاصة لقربها من مزاج أهلها ومعرفتهم بدلالات ألفاظها، منها قوله:

وا أسفاً على العشا ... مطبقاً مكشمشا
قد ظفر الهر به ... ونال منه ما يشا
ولم يدع إلا طبيـ ... ـخاً ماشه ما جرشا
فكيف يرجى أمنه ... وهو سروق يختشى
يختل أن أمكنه الـ ... ـختل وإلا نتشا
لما أتى العبد رأى ... طبيخه مخربشا
من بعد ما كمله ... نضجاً له ونشنشا
بكى عليه وغدا ... يمسح طرفاً أعمشا
وقال ويل الهر لا ... يعلم فيمن بلشا

لم يطل العمر بالسيد جعفر الحلي إذ وافاه الأجل مبكراً بعد أن اخترم بعض أبنائه لسبع بقين من شعبان عام (١٣١٥هـ) ودفن بوادي السلام قرب قبر أبيه وقد رثاه جماعة من الشعراء منهم الشيخ عبد الحسين صادق العاملي بقصيدة مطلعها:

على مثل وخز السمر أو حزة المدى
طويت ضلوعي يوم أودى بك الردى

ومنهم الشيخ محمد حسن سميسم بقصيدة مطلعها:

الفضل طاح عماده وعميدة
والمجد راح طريقه وتليده

ومنهم أخوه السيد هاشم جامع ديوانه بقصيدة مطلعها:

ببنيك لا بالماضيات القواضب
أنبت فؤادي بل أقمت نوادبي

وغيرهم كثير من الأدباء الشعراء الذين فجعوا بمصاب فقده العاجل.

القصيدة:

الله أي دم في كربلاء سفكا
لم يجر في الأرض حتى أوقف الفلكا
وأي خيل ضلال بالطفوف عدت
على حريم رسول الله فانتهكا
يوم بحامية الإسلام قد نهضت
به حمية دين الله إذ تركا
رأى بأن سبيل الغي متبع
والرشد لم تدر قوم أيه سلكا
والناس عادت إليهم جاهليتهم
كأن من شرع الإسلام قد أفكا
وقد تحكم بالإيمان طاغية
يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا
لم أدر أين رجال المسلمين مضوا
وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره
ومن خساسة طبعٍ يعصر الودكا

أم كيف يسلم من شرك ووالده ... ضاق الفضاء على حربٍ بحربهمُ
ما نزهت حمله هند عن الشركا ... حتى رأوا كل رحبٍ ضيقاً ضنكا
لئن جرت لفظة التوحيد في فمه ... يا ويح دهرٍ جنى بالطف بين بني
فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا ... محمدٍ وبني سفيان معتركا
قد أصبح الدين منه شاكياً سقماً ... حاشا بني أحمد ما القوم كفؤهم
وما إلى احدٍ غير الحسينِ شكا ... شجاعة لا ولا جوداً ولا نسكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً ... ما تنقم الناس منهم غير انهمُ
إلا إذا دمه في نصره سفكا ... ينهون أن تعبد الأوثان والشركا
وما سمعنا عليلاً لا علاج له ... شل الإله يدي شمر غداة على
إلا بنفس مداويه إذا هلكا ... صدر ابن فاطمة بالسيف قد بركا
بقتله فاح للإسلام طيب هدى ... فكان ما طبق الأدوار قاطبة
فكلما ذكرته المسلمون ذكا ... من يومه للتلاقي مأتماً وبكا
وصان ستر الهدى عن كل خائنة ... ولم يغادر جماداً لا ولا بشراً
ستر الفواطم يوم الطف إذ هتكا ... إلا بكاه ولا جناً ولا ملكا
نفسي الفداء لفادٍ شرع والده ... فإن تجد ضاحكاً منا فلا عجب
بنفسه وبأهليه وما ملكا ... إذ ربما بسم المغبون أو ضحكا
قد آثر الدين أن يحمى فقحمها ... في كل عام لنا بالعشر واعية
حيث استقام القنا الخطي واشتبكا ... تطبق الدور والأرجاء والسككا
وشبّها بذباب السيف ثائرة ... وكل مسلمة ترمي بزينتها
شعواء قد أوردت أعداءه الدركا ... حتى السماء رمت عن وجهها الحبكا
وأنجم الظهر للأعداء قد ظهرت ... يا ميتاً ترك الألباب حائرة
نصب العيون وغطى النقع وجه ذكا ... وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا
أحال ارض العدا نقعاً بحملته ... تأتي الوحوش له ليلاً مسلمة
وللسماء سما من قسطلٍ سمكا ... والقوم تجري نهاراً فوقه الرمكا
فانقص الأرضين السبع واحدةً ... ويل لهم ما اهتدوا منه بموعظة
منها وزاد إلى أفلاكها فلكا ... كالدرِ منتظماً والتبرِ منسبكا
في فتيةٍ كصقور الجوّ تحملها ... لم ينقطع قط من إرسال حكَمته
أمثالها تنقض الأشراك والشبكا ... حتى بها رأسه فوق السنان حكا
لو أطلقوها وراء البر آونة ... والهفتاه لزين العابدين لقا
ليمسكوه أتت والبر قد مسكا ... من طول علته والسقم قد نهكا
الصائدون سباع الصيد إن عندت ... كانت عيادته منهم سياطهم
وما سوى سمرهم مدوا لها شركا ... وفي كعوب القنا قالوا البقاء لكا
لم تمسي أعداؤهم إلا على درك ... جروه فانتهبوا النطع المعد له
وجارهم يأمن الأهوال والدركا ... وأوطأوا جسمه السعدان والحسكا

لا مــرت الريــح في كوفــان طيبة
والغيث لا حل في وادي الشــآم وكا
وعــذب الله بالجانــي بريهــم
ففــي دم الســبط كل منهم شــركا
ثم الصــلاة على الهــادي وعترته
ما ناحت الورق أو جفن الحمام بكى

التحليل:

دأب العرب على جعل الشــعر سجلاً لأحداث حياتهــم وانفعالاتهــم إزاء تلك الأحداث، ولاســيما ما امتد أثره ليشمل أمة الإســلام كلها كذاك الذي حدث في عاشر عاشــوراء في أرض كربلاء بمصرع الســبط الشــهيد مصباح الهدى وســفينة النجاة الإمام الحســين بن علي بــن أبي طالب عليه السلام الذي ثار بوجه الظلم والطغيان ليستنقذ الإسلام مما علاه على أيــدي أئمة الضلالــة والجــور ومن أراد تحريفه وتزييفــه لغاية دنيوية دنية، وقد ظل صدى تلك الثورة العظيمة في اتساع وتجدد كلما مر الزمان على المسلمين وأحاقــت بهم الظروف القاهرة من ظلم وجور وتسلط حكام ظالمين.

لقد وجد في تاريخ الشعر العربي ما يمكن أن نســميه (القصيدة الحســينية) وهــي القصيدة التي تناولــت من قريب أو بعيــد آثار الثــورة الحســينية الخالدة فاكتسب سمات خاصة بها تميزها من بقية الشــعر العربــي، وإن اندرجت فيه ومــن أبرز تلــك الخصائص والســمات: هيمنة العاطفــة القوية عليهــا، والدعوة إلى فكــرة الثورة ورفض الاســتكانة للظالميــن والانقيــاد لهــم، هــذا فضلاً عــن غلبــة طابــع الحــزن عليهــا لما في تلــك المصيبــة ـ مصيبــة مقتل الحســين وآلــه وصحبــه ـ ومن آلام تشــجي أفئدة المســلمين الحــرى على مــا آل إليه أمر دينهم، ولذلك كله ظل هذا الحزن ومعه الرفض والإبــاء، يملأ أركان القصيدة الحســينية، ويملأ قلوب أهلها عزة وإباء ورفضاً للجور والتســلط والطغيان مهما اشــتدت شــوكته وقوي عوده، ومهما استلزم ذلك من تضحيات ظلت دماؤها تجري ما جــرى التاريــخ والزمان، وما قصيدة الســيد جعفر الحلــي التي قالها في رثاء جده السبط الشهيد إلا أنموذجاً لهذا الذي ذكرناه، وهي لا تقتصر على الرثاء أو التأبين، أو الندب الحزين، إنما تتعــدى ذلك إلى غايــات ومرامي أخرى ســيأتي بيانها في هــذا التحليل الموجز لها.

دخل الســيد جعفر الحلي إلى غرضه فــي القصيدة مــن دون أن يتــوكأ على أي مــن أنــواع المقدمــات التــي اعتــاد الشعراء، ولاســيما من أقرانه، التوكأ عليهــا، وذلك من دلائل قدرته في النظم والتعبيــر، وقد كان مدخلــه موفقاً في جذب وعي المتلقي والسيطرة عليه إذ بدأ بلفظ الجلالة (اللّٰه) وبأســلوب التعجب والتحســر معــاً مجريــاً توافقــاً صوتيــاً ناجحــاً حيــن كــرر أصــوات الكاف والفاء في الحشــو والعــروض والضرب من البيت الأول بتناغم موســيقي فاعل، ليجعــل من مطلعــه الكفاية التي تعوض عــن أي مقدمــة أخــرى، وقــد ربــط به البيــت الثانــي بــواو العطــف وأســلوب التعجب نفسه ليعطي السياق أثراً إضافياً لقوة الأســلوب، فضلاً عــن جعله النص متماســكاً، يتوالــد بعضــه مــن بعــض ليكون هذا التماســك والتوالد مصداق

تجزع القلوب إلا قلبه ..
فهو كالهدية لحمل رسالة
السماء بعد أبيه وجده (صلى
الله عليهما وآلهما) .....
وتتكسر كالزجاج حزناً ...
عند ذكره في عاشوراء.

مفهوم الوحدة الموضوعية والفنية التي اشتملت عليها القصيدة، وهو المنطلق الأول، أو المرجعية الأولى التي حكمت بناء النص وتحكمت به.

أما المرجعية الثانية فهي مرجعية فنية تستند إلى مفهوم (الطباق) الفني فضلاً عن المفهوم البلاغي، فبرغم احتواء القصيدة وفرة واضحة من الطباقات البلاغية الناجحة، فإنها تنطلق من طباق أوسع هو الطباق الفني الذي يشمل مكونات القصيدة أو عناصرها التي تقوم على عرض الصراع بين عنصرين رئيسيين في الوجود هما: الدين الحنيف بنهجه القويم ممثلاً بالنبي وآله ﷺ وصولاً إلى الإمام الحسين نقطة ارتكاز رئيسة فيه، بمقابل أعداء الدين الذين أرادوا له الهوان والتلاشي ممثلين بآل حرب وصولاً إلى (يزيد) نقطة ارتكاز تجسدت فيها معالم العدوان على هذا الدين.

يمكن تتبع مفردات الطباق التي امتلأ بها النص لاكتشاف أهميته في تعميق التناقض الأصيل بين موقفي الرسول وآله ﷺ وعدوهم، وذلك على غير ما اعتاد بعض النقاد المحدثين من عد الطباق، أو الإكثار منه، أحد مظاهر التقليد والتخلف في شعر القرون المتأخرة، فالبيت الأول يحدث طباقاً بين فعلين هما: (يجري وأوقف)، وأسمين هما: (الأرض والفلك).

أما البيت الثاني فقد أحدث الطباق بالتفاتة ذكية وذلك بأن أضاف كلمة (ضلال) إلى (خيل) لتقابل في الشطر الثاني منه ما يمثله رسول الله ﷺ وحريمه التي انتهكت، وليشير إلى من بعيد إلى خيل الجهاد في سبيل الله التي كان يجريها رسول الله ﷺ من أجل استنقاذ الناس من الضلال الذي كانوا فيه سادرين، وقد امتد هذا الخط عمودياً في القصيدة بمسارين متوازيين، فخيل الضلال تقود، في الأبيات اللاحقة إلى سبيل الغي، والجاهلية، وغياب رجال المسلمين، والطاغية يزيد، ومسار الإيمان ينطلق من رسول الله ﷺ إلى الرشد وشرع الإسلام وصولاً إلى الإمام الحسين عليه السلام وسنبين ملامح كل من المسارين بإيجاز.

الأول: وينطلق هذا المسار من لحظة وقوع الجريمة في كربلاء ممثلاً بالشطر الأول من البيت الأول: (الله أي دم في كربلاء سفكا) فالدم الشريف الذي سفكه أهل الضلالة في كربلاء، ثم الخيول التي أجروها على صدر ابن بنت رسول الله ﷺ إمعان بالجريمة وتنفيس عن حقد دفين، وفي هذا ترك لدين الله وإتباع لسبيل الغي، فعودة الناس إلى جاهليتهم التي مثلها حكم الطاغية يزيد في البيت السادس لتصبح الأبيات اللاحقة وقفة لابد منها عند هذه القمة الجاهلية التي مثلها يزيد:

وقد تحكم بالإيمان طاغية
يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا
لم أدر أين رجال المسلمين مضوا
وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره
ومن خساسة طبع يعصر الودكا
أم كيف يسلم من شرك ووالده
ما نزهت حمله هند عن الشركا
لئن جرت لفظة التوحيد في فمه
فسيفه بسوى التوحيد ما فتكا

فبعد أن أثبت النص علقة الطاغية يزيد بالفحشاء يبدي أسلوب الاستفهام الذي خرج إلى التعجب عجبه من غيبة رجال الدين الحنيف حتى يغلبه مثل يزيد ملكاً متحكما في الدين وأهله، ولابد من الالتفات إلى استعمال لفظة (ملكاً) من دون غيرها، فهو استعمال مقصود غايته بيان ما آلت إليه (الخلافة) من ملك كسروي عضوض، وكان لابد من الكشف عن مزيد من صفات يزيد فتولت الأبيات هذه المهمة بتفوق، فقد ربط عصر الخمر الذي اشتهر يزيد بشربه بلؤم عنصره في علاقة إسناد مجازية ناجحة، وقد ولدت لفظة (عنصره) توضيحاً في النص بالكشف عن الشرك الذي غرقت فيه حياة آبائه من أبي سفيان بن حرب وهند آكلة الأكباد إلى معاوية السوء وزوجه ميسون النصرانية، فما التوحيد إن جرى في فمه عبثاً إلا غطاء يخفي به عداءه للدين الذي كان سيف آبائه أولئك يفتك به، وما هذا الكشف عن العنصر وماهيته استطراد، أو فضلة من قول، إنما هو يدخل في مرجعية الطباق التي ينطلق منها النص، فكل هذه الصفات الخسيسة التي احتواها يزيد لنفسه بما فيها من ضعة وهوان تقابل ما كان عليه الإمام الحسين بن رسول الله وابن بنته الزهراء البتول عليهما السلام، فقد قابل الشاعر بين الحسين عليه السلام ويزيد من جهات مختلفة، وبذلك يأتي البيت:

قد أصبح الدين منه شاكياً سقماً
وما إلى احد غير الحسين شكا

ليقدم انسجاماً منطقياً يقود إلى:

المسار الثاني: الذي يتمثل بالإمام الحسين عليه السلام وذلك في الأبيات:

فمارأى السبط للدين الحنيف شفاً
إلا إذا دمه في نصره سفكا
وما سمعنا عليلاً لا علاج له
إلا بنفس مداويه إذا هلكا
بقتله فاح للإسلام طيب هدى
فكلما ذكرته المسلمون ذكا
وصان ستر الهدى عن كل خائنة
ستر الفواطم يوم الطف إذ هتكا

فقد تأكد ترابط النص وضبط وحدته العضوية، فمن البيت الذي استعار صفة العلة أو المرض للدين يستعير في البيت اللاحق الشفاء لدم الحسين عليه السلام الذي سفك في سبيل نصرة الدين ليكون ذلك من باب العجب الذي لم يؤلف حدوثه في الزمان بأن يكون الدم شفاء عليل، فيما يستعير البيت الآخر لدم الحسين عليه السلام صفة العطر الأصيل الذي يتجدد عبقه كلما مر عليه الزمان، وهو ما حصره باستذكار المسلمين لمقتل إمامهم، وأما البيت الأخير في المقطع فلم يكتف بالتعريض بهتك جند بني أمية ستر بنات الرسول صلى الله عليه وآله إنما جعل هذا الهتك تضحية من آل الرسول صلى الله عليه وآله بالأنفس والدماء، لأجل صيانة الدين.

لقد أوجز السيد جعفر الحلي الوقوف على تفصيلات واقعة الطف وما أكثرها، والتفت إلى ما يحيط بها من أسباب وفوارق، وما نتج عنها من آثار بالتلميح الموجز المغني مستنداً إلى رؤية فنية وعاطفية صادقة لم يبددها الانغمار بالسياق التاريخي المعروف للواقعة كما يفعل كثير من الشعراء.

ينتقل السيد الحلي بالبيت:

نفسي الفداء لفادِ شرع والده
بنفسه وبأهليه وما ملكا

إلى مديح الإمام الحسين عليه السلام في خمسة أبيات ليصور جانباً من بطولته الفذة التي أرعبت أعداءه وملأت نفوسهم خوفاً وذعراً مثلما امتلأ سماء المعركة غباراً، ثم يعرج إلى ذكر أصحاب الحسين وأهل بيته عليهم السلام في خمسة أبيات أيضاً مظهراً شجاعتهم وصوراً من بطولاتهم التي جعلت الأرض والفضاء يطبقان على أعدائهم.

لقد آلت البطولة إلى شهادة، ولم يبق الحسين ولا آل بيته وصحبه، ونهب خدر النساء فسيق النسوة والأطفال إلى الشام أسارى، ولكن السيد جعفر الحلي لا يذكر من ذلك شيئاً، بل ينتقل من وصفه البطولة إلى الألم مما صنعه الدهر ببني محمد صلى الله عليه وآله منذ البيت:

يا ويح دهرٍ جرى بالطف بين بني
محمد وبني سفيان معتركا

فيفعل مرجعية الطباق مرة أخرى حين يوازن بين محمد وبني سفيان، بين من نهوا عن عبادة الأوثان والشرك، وبين أهل الأوثان والشرك مستعملاً أسلوب

النفي المؤكد بتكرار الأدوات، ليستعمل بعدها الدعاء في البيت:

شل الإله يدي شمر غداة على
صدر ابن فاطمة بالسيف قد بركا

لينطلق منه إلى بيان وقع المصيبة على متبعي نهج الرسول صلى الله عليه وآله ومحبي آل بيته في خمسة أبيات يكشف فيها عن شمول الحزن والمآتم كل بيت وشارع، ولاسيما في ذكرى المحرم وعاشوراء منه.

ليتجه بالخطاب إلى الإمام القتيل بقوله:

يا ميتاً ترك الألباب حائرة
وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا

ليثبت بعض الوقائع المرة ومنها: ترك جسد الإمام بالعراء ثلاثاً، وإجراء خيلهم على ذلك الجسد الشريف، ثم يثبت بعض معجزاته ومنها: كلام الرأس القطيع وهو مرفوع على رمح طويل ليجعل ذلك الكلام امتداداً لجهد الإمام في التضحية والموعظة التي صدع بها في هؤلاء الضلال.

ويلتفت السيد الحلي إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام وهو البقية الباقية من ذلك الصراع العنيف إذ كان مرضه قد حال بينه وبين الجهاد مع أهله فسيق أسيراً معنفاً برغم شدة علته إذ لم ترق له قلوب أعدائه القساة، ولم يرعوا له مقاماً أو حرمة وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلاقى من أعدائه كل عنت وقسوة، وقد صور الشاعر ذلك في البيت الذي يقوم على المفارقة:

كانت عيادته منهم سياطهم
وفي كعوب القنا قالوا البقاء لكا

وقد جاءت الأبيات الثلاثة الأخيرة لتختم بالدعاء على أولئك الذين جنوا من أهل الكوفة والشام بأن يأخذ الله البريء منهم بالجاني ولا بريء بينهم فكلهم قد شارك في الجرم، وما ذلك إلا من باب المبالغة التي بعثها شدة العاطفة والألم الذي تركه مقتل الإمام في نفس محبيه، ثم يأتي البيت الأخير خاتماً بالصلاة على النبي وآل بيته.

لقد جرت القصيدة على البحر البسيط واتخذت الكاف روياً لها، وقد زادها الألف إطلاقاً، وهو ما زاد من أثرها الموسيقي الواضح، واشتملت على أنماط من الجناس الموفق الذي استدعته حاجة النص نفسه من دون أن يكون فيه إقحام زائد على الحاجة.

وأما الطباق فكان صلب القصيدة في بنائها وقوامها، ولذلك كثر على مستوى الأفراد والتركيب، ثم استوى عليه بناء النص كله من ناحيتيه الفنية والمعنوية.

امتازت القصيدة بتماسك عناصر البناء وتوالدها من بعضها في حركة نمو عضوي تصاعدي يقف الوقفة المطلوبة عند كل جزء من البناء من دون الانحراف فيه، أو الإخلال ببناء الأجزاء الأخرى، وبرغم أن القصيدة موضوعة تحت عنوان (الرثاء) فإنها لم تتنزل إلى مستوى الندب الحزين الذي قد يكون سطحياً أو مباشراً في نصوص كثيرة، إذ قارب السيد الحلي موضوعه من رؤية فنية راقية ارتقت على التاريخ أيضاً فلم يتورط في السردية المباشرة التي تنهك بناء القصيدة بإعادة سرد أحداث تاريخية معروفة، وهذا ما أعطى القصيدة نسبة عالية من النجاح والتوفيق ■

من شهداء الفضيلة..

الشهيد السيد نصر الله الحائري

وجهوده في التقريب بين المذاهب

د. حيدر نزار السيد سلمان ●
الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

أدى علماء الدين الشيعة أدواراً هامة ومؤثرة على طول التاريخ وفي مجالات متعددة ولم يتوقف إبداع ونبوغ هؤلاء العلماء في أحلك الفترات الزمنية وأشدها صعوبة ومشقة حيث لم تتوقف مشاركة وعطاء وتواصل علماء الدين في البناء الاجتماعي والعقائدي وأمتد ذلك إلى الآداب والمعارف والأمور السياسية وربما يمكن اعتبار الفترة التاريخية التي نغطيها في هذا الموضوع من الفترات الغامضة والحالكة لما تتصف به من ضعف في عملية التدوين التاريخي وتوثيق الأحداث العامة والتطورات الحاصلة كجزء من الحالة العامة التي شهدها العراق في ظل الحكم العثماني والتعصب والتهميش الذي كانت تتعامل به الدولة العثمانية مع الشيعة حيث الإقصاء والأبعاد والاضطهاد المتواصل وهنا يجد الباحث في هذه المدة التاريخية صعوبة في البحث والتقصي عما يبحث عنه من حقيقة ولكن ذلك لا يمنع من وجود الكثير من اللمحات والأخبار والوقائع التاريخية التي دونها بعض العلماء والأدباء والمؤرخين عن هذه الفترة التاريخية. وهو ما يمكن

صورة للكف الذهبي الذي وضعه السيد نصر الله الحائري في أعلى قبة مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد كتب على الكف الآية القرآنية: (يد الله فوق أيديهم)

ملاحظته عند دراسة حياة واحد من العلماء العاملين الذين كان لهم دور مميز ونشاط ملحوظ أشاد فيه كل من كتب عنه وعبر عن إعجابه بهذه الشخصية النشطة وهو السيد نصر الله بن الحسين بن علي بن إسماعيل الحسيني الموسوي الحائري المولود في كربلاء عام ١١٠٩ وكان عالماً فاضلاً ومحققاً ومحدثاً أمتاز بذكائه وفصاحته جمع إلى جانب العلوم الدينية بوصفه عالماً دينياً قدرة أدبية وشعرية، فقد كان شاعراً وله ديوان مطبوع قدم له الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره فضلاً عن ذلك فقد كان له شأن في التاريخ ودراسته والاطلاع على حوادثه[1].

ومن ديوانه المطبوع نذكر ما قاله في واقعة كربلاء:

يا بدوراً لم ترض أفق السماء
كيف غيبت في ثرى كربلاء
يا شموساً في الترب غارت وكانت
تبهر الخلق بالسنا والسناء
يا جبالاً شواهقاً للمعالي
كيف وارتك تربة الغبراء
يا بحاراً في عرصة الطف جفت
بعدما أروت الورى بالعطاء
يا غصوناً ذوت فكان جناها
دانياً للعفاة في اللأواء
يا ليوثاً بنو كلاب عليها
قد سطت بعد منعة وإباء

وبسبب الحماس الديني والروح المتوهجة للسيد الحائري وربما حبه للاطلاع والحصول على المعارف فقد كان كثير السفر إلى إيران (بلاد فارس) حيث درس في مدارس مدينة قم المقدسة وأصبح له فيها سمعة طيبة وشأن من الشأن، ومما يعزز الاعتقاد بعشق السيد نصر الله الحائري إلى المعارف والعلوم والتوسع بالإطلاع هو ولعه الشديد بالبحث عن الكتب وجمعها وتحصيلها وبالفعل فقد بذل جهوداً في سبيل الحصول على الكتب النادرة وحتى كتابتها ونسخها بيده بعد استعارتها من أصحابها وهذا ما وفر به العديد من الكتب والمخطوطات النادرة والفريدة التي كانت عنده دون غيره[٢].

إن الملاحظة الأبرز في سيرة السيد الحائري هو الاحترام الواسع الذي كان يحظى به عند الجميع وخاصة عند القادة الرسميين في الدولتين العثمانية والفارسية وكذلك السمعة الطيبة التي حظي بها عند أهل السنة والتي جاءت نتيجة اعتداله وعقليته المنفتحة على الرغم من السياسة الطائفية المقيتة والواضحة التي كانت عليها السلطة العثمانية في العراق أو بعض الشخصيات الدينية المعروفة من السنة. وقد كان لهذا الاعتدال والسمعة الطيبة أثرها في ما حصل من تقارب تاريخي ونبذ التعصب المذهبي فيما بعد عند عقد مؤتمر النجف الذي سيأتي ذكره. وعلى العموم فإن هذه الحضوة التي حصل عليها السيد الحائري كانت أكبر عند شاه بلاد فارس نادر الأفشاري الذي أصبح حاكماً على هذه البلاد بعد تحريرها من سيطرة الأفغان وقيادته لحملات التوسع العسكرية ووصوله إلى السيطرة على الهند وأفغانستان إضافة إلى توحيده بلاد فارس[٣].

والواضح إن نادرقلي الأفشاري كان يقدر السيد الحائري ويوليه الرعاية والاهتمام وهو ما يظهر عندما كلفه بمهمة الأشراف على تذهيب العَتَبة العلوية المطهرة عام ١٧٤٢م وبالفعل فقد نجح نصر الله الحائري في مهمته وهو الذي وضع الكف الذهبي في أعلى القبة وكتب عليه الآية القرآنية (يد الله فوق أيديهم) مما أثار بعض المحيطين بنادر شاه إلا إن السيد الحائري أصر على وضع الآية الكريمة[٤].

ويشير مؤرخ النجف الشيخ جعفر محبوبة إلى الإمكانات الكبيرة التي تم تسخيرها لتذهيب قبة مرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهي تؤكد على العمل العظيم الذي أداه السيد الحائري بطلب من نادر شاه فقد جلب للعمل مائتين من الحرفيين والصناع المهرة من شتى البلدان لإنجاز هذا العمل فكان يعمل الصيني والهندي والتركي والفارسي والعربي جنبا إلى جنب[٥] وعلى العموم فأن التقارب بين السيد الحائري ونادر شاه ورغبة الاثنين في تحقيق التقارب بين السنة والشيعة من أجل الوصول إلى الوحدة الإسلامية قد بدأت تأخذ مجراها ويمكن القول إن نادر قد وجد الحماسة لدى السيد في هذا المجال وهكذا أخذ نادر يعد العدة لعقد مؤتمر في مدينة النجف الأشرف يجمع بين علماء الدين للمذاهب الإسلامية المختلفة وذلك أثناء غزوه للعراق عام ١٧٤٣م واتصاله بوالي بغداد أحمد باشا وعندما حصلت موافقة السلطان العثماني محمود الأول الذي طلب

منه نادر شاه عدة مرات وفي عدة رسائل الاعتراف بالمذهب الجعفري كمذهب رسمي يجوز التعبد كبقية المذاهب ولا يجوز قتل أتباع هذا المذهب[٦] أخذت الوفود تترى على مدينة النجف الأشرف لحضور المؤتمر وقد ترأس وفد علماء السنة عبد الله السويدي الذي دون وقائع المؤتمر حسبما رآه هو في كتاب أسماه مؤتمر النجف[٧].

عقد المؤتمر في ضريح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم ٢٦ شوال عام ١١٥٦هـ الموافق لسنة ١٧٤٣م وقد جرت أثناء المؤتمر حوارات ونقاشات طويلة بين علماء من السنة والشيعة وقد كان للسيد الحائري دور مهم في هذه النقاشات والمناظرات وأظهر مقدرة في تقديم الحجج والبراهين القوية أمام ناظريه[٨].

توصل المجتمعون في مؤتمر النجف إلى نتائج مهمة فقد تم الاعتراف بالمذهب الجعفري كمذهب خامس بين المذاهب الإسلامية وعدم سب الصحابة وأن يكون للمذهب الجعفري ركناً خامساً في المسجد الحرام أسوة بالمذاهب الأربعة يصلون فيه حسب عقائدهم وكذلك أن يكون للشيعة أمير حج خاص بهم وأعلى شأناً من الأميرين المصري والشامي وفك الأسرى عند الدولتين العثمانية والفارسية وأن يعين وكيلين في مقر الدولتين[٩].

وتم توقيع الاتفاق بين الطرفين من قبل العلماء الحاضرين بشهادة صاحب المرقد المقدس الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وختمها السلطان نادر شاه بتوقيعه ونسخت عدة نسخ واحدة إلى نادر شاه وأخرى إلى السلطان العثماني محمود الأول لتوقيعها وثالثة ورابعة أودعت في خزانة الكتب للحضرة المرتضوية المطهرة في النجف الأشرف وقد أقام المجتمعون صلاة الجمعة في مسجد الكوفة بإمامة السيد نصر الله الحائري وبحضور خمسة آلاف من المصلين[١٠].

في كتابه عن مؤتمر النجف يتحدث عبد الله السويدي عن شكوكه بما تحدث به السيد نصر الله الحائري في خطبة الجمعة ويوجه إليه اتهامات غير عادلة ويبدو واضحاً من كتاب السويدي عدم جديته في مسألة التقريب وإزالة الخلافات المذهبية وتوحيد المسلمين والابتعاد عن الضغينة والبغضاء وهو ما يمكن الإطلاع عليه في هذا الكتاب على الرغم من السرور والفرح الذي ساد مشاعر أهل السنة والشيعة على هذا الاتفاق وكذلك الحال بالنسبة للشيعة أما نادر شاه فقد عدَ هذا النجاح مهماً وأشاد بجهود العاملين في هذا المؤتمر.

كان من مقررات المؤتمر كما أسلفنا أن يكون للمذهب الجعفري ركناً في الكعبة المشرفة وبالفعل فقد أرسل نادر شاه السيد نصر الله الحائري إلى مكة كأمير للحج وتنفيذ بنود مؤتمر النجف وبالفعل فقد أقام الحائري الصلاة في موسم الحج وألقى خطبة في الركن الشامي الذي خصص للمذهب الشيعة ويظهر بأن حضور الحائري والقادة للخطبة قد أثار المتعصبون ومن في قلبوهم مرض فحرضوا على السيد وحسب رأي الدكتور علي الوردي فان لعبد السويدي الذي كان ممثل للسنة في مؤتمر النجف دوراً في مسألة التآمر على الحائري مما جعل شريف مكة مسعود أن يكتب للسلطان العثماني يحرضه على

بجانب قبور الشهداء كان السيد المترجم له يلقي دروسه وأبحاثه على طلبته

السيد نصر الله وهذا ما دفع السلطان العثماني إلى الإيعاز إلى الشريف مسعود بإلقاء القبض على الحائري وتسليمه إلى أمير الحج الشامي أسعد باشا لكي يأخذه معه إلى الشام ويسجنه في قلعة دمشق ثم حدث تطور آخر عندما طلبه السلطان فأخذ إلى إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية[11] وهنا أستشهد والحقيقة هناك رؤيتان في كيفية استشهاده إضافة إلى رواية أخرى في مسألة مقدمه إلى عاصمة الدولة العثمانية.

حيث تذكر الرواية الثانية إن السلطان العثماني وصلته أخبار المناظرات والنقاشات التي دارت في مؤتمر النجف فطلب من نادر شاه إرسال عالماً شيعياً إلى استانبول لمناظرة فيها من علماء فأوفد نادر شاه استجابة لذلك السيد نصر الله الحائري للقيام بهذه المهمة بعد أن حقق نتائج طيبة في محاوراته لعلماء السنة في مؤتمر النجف وعندما وصل إلى العاصمة العثمانية كانت الأخبار قد وردت عن مقتل نادر شاه فأغتنم رجال السلطان حالة الفوضى هذه فقتلوا السيد الحائري حقداً وتآمراً ويبدو أن ذلك الأمر لم يرق للسلطان العثماني محمود الأول فأنتقم من قتلة السيد[12] ويرى عبد الحسين الأميني في شهداء الفضيلة إن محمود الأول هو الذي أمر بقتل الحائري بعد أن تمت الوشاية به عند السلطان وكان يوم استشهاده قد تجاوز عمره الخمسين عاماً[13].

ولكن الاختلاف وقع في تحديد سنة

استشهاده فهناك آراء متباينة في هذا الجانب محمد حرز الدين يشير الى أن وفاته عام ١١٦٦هـ بينما يرى الأميني إن وفاته كانت عام ١١٦٨هـ ولكن إذا أخذنا بالرواية التي تقول إن عام استشهاده قد تم في عام مقتل نادر شاه فأننا يمكن أن نقول أن فارق شهادته كانت عام ١٧٤٧م وهو العام الذي قتل فيه نادر على يد مجموعة من قادة جيشه.

بعد استشهاد الحائري جرى له تشييع مهيب وهي إشارة أخرى إلى مقتله بعيداً عن موافقة محمود الأول وأصبح له مزاراً يزار للشفاعة والتبرك نظراً لما لهذا السيد من مكانه وحظوة فقد كان يتمتع باحترام واسع من الجميع وحسب الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء فأن للحائري مجموعة من الكمالات وآية من الآيات ودعامة من دعائم الدين وقد خلف أسرة لا تزال في مدينة كربلاء المقدسة تنتسب إليه وهم السادة آل نصر الله[١٤].

كان السيد الحائري من الشعراء الذين تركوا تراثاً شعرياً ضخماً وخاصة في أشعاره الخاصة بآل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام وكذلك فقد كانت لديه مجموعة من المؤلفات والكتب التي أظهرت مقدرته البلاغية والفقهية ولكن ذلك لم يمنع من القول إن كتب السيد ما زالت الكثير منها لم يرى إعادة الطبع ومن أشهر ما كتب (الروضات الزاهرة في المعجزات بعد الوفاة) و كتاب (سلاسل الذهب المربوطة بقناديل العصمة الشامخة الرتب) وغيرها من الكتب والحقيقة إن السيد الحائري جمع بين الموهبتين الأدبية والعلمية ولم تؤثر أحدهما على الأخرى وكل هذا وروحه المتسامحة المحبة للاعتدال وأعمال الخير والحماسة في خدمة المذهب وآل البيت عليهم السلام واندفاعه في العمل التبليغي حتى في عاصمة الدولة العثمانية قد جعلت من الحائري شخصية لها قيمتها وأهميتها فنظر إليه الجميع باحترام وتقدير عاليين والمتتبع لسيرة حياته يجد إنه كان مخلصاً وشجاعاً وعالماً متمكناً ومطلعاً ومثقفاً في مجالات الحياة المختلفة ولعل هذا هو الذي جعله مقرباً ومحبوباً من قبل نادر شاه وهو المعروف بقوته وشدة بأسه فأختاره لأصعب المهمات وأخطرها لما وجد فيه من علم وأدب والحقيقة إن هذه هي الخصال والصفات التي يتحلى بها علماء الشيعة على مر الأزمان وهو ما زاد من علو شرفهم ومكانتهم وهيبتهم وكان الشهيد نصر الله الحائري من هؤلاء الذين سقطوا صرعى وهم يحثون الخطى ويعملون بإخلاص عال من أجل عقيدة آل بيت النبوة الأطهار عليهم السلام ■

---

(١) عبد الحسين الأميني، شهداء الفضيلة.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث.
(٤) محمد حرز الدين، معارف الرجال، ج١.
(٥) جعفر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ج١.
(٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١.
(٧) عبد الله السويدي، مؤتمر النجف.
(٨) محمد حرز الدين، المصدر السابق.
(٩) علي الوردي، المصدر السابق.
(١٠) محمد حرز الدين، المصدر السابق.
(١١) علي الوردي، المصدر السابق.
(١٢) محمد حرز الدين، المصدر السابق.
(١٣) عبد الحسين الأميني، المصدر السابق.
(١٤) ديوان السيد نصر الله الحائري.

كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت على مصاب الحسين

في الذكرى السادسة عشر لرحيله

خطيب كربلاء الأول
الشيخ هادي الكربلائي

أحمد الكعبي الطويرجاوي •

ينابيع

العظمة ما يتركه المرء من أثر عظيم في النفوس من حوله، وما يحفره في صفحة الدهر من ذكرى خالدة... وفي الحياة الدنيا كل شيء يبلى ويزول كلما مر الزمان والأيام، فلكل يوم تاريخه، ولكل عصر رجاله، إلا أن ثمة أحداث ورجال لا تزيدهم كرور الليالي والأيام والأزمان إلا توهجاً ومجداً ورفعة وخلوداً.

وأبرز الخالدين على الإطلاق الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام ليس في بقعة واحدة، وفي ظرف زمني محدد، بل على امتداد الأرض والسماء وعلى امتداد نور الشمس في الآفاق...

كذلك ترى أن هؤلاء الخالدين خلدهم

الله تعالى في الدنيا والآخر لأنهم ساروا وطبقوا نهج الله عز وجل في حياتهم الدنيا وعرفنا الخالدين فيما تقدم ولكن هناك رجال سلكوا نهج الخالدين وسبيل الصالحين في حياتهم وتبعوا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأحد هؤلاء الذين خلدوا بذلك هو المرحوم المغفور له المترجم له.

نسبه، ولادته، نشأته:

هو الحاج الشيخ هادي بن الشيخ صالح بن مهدي بن درويش من بيت (عجام) الذي ينتسب إلى قبيلة (خفاجة).

ولد في بغداد ـ محلة الشيخ بشار في دار جده لأمه ـ عام (١٩٠٨م).

نشأ في رعاية والديه، نشأة صالحة، ولما شب عن الطوق أخذ يبحث عن نهج الصالحين والأخيار فأخذ يتبع الخطوة بعد الخطوة إلى أن درس وتفقه على أيدي كبار العلماء والمدرسين ومنهم:

١ـ درس الفقه والأصول على يد والده الشيخ صالح الخفاجي (طاب ثراه).

٢ـ درس وتعلم فن الخطابة على يد خطيب كربلاء آنذاك العلامة الشيخ محسن أبو الحب قدس سره المتوفى عام (١٣٦٩هـ).

٣ـ ثم دخل في مدرسة الصدر الأعظم، والمدرسة الزينبية، في كربلاء أي أنها كانت في محل العلم والعلماء فدرس بذاك المترجم له عند الشيخ محمد المعماري ألفية بن مالك وشرح القطر.

٤ـ ودرس وأخذ علم العربية وعلوم الدين عند الشيخ محمد الخطيب (طاب ثراه) في مدرسة العلامة الخطيب الرسمية، فحذق العربية وبرع في فنونها، ونظم الشعر بأنواعه وأبحره فكتب القريض فبرع فيه، وكذلك تفوق في مجال ومضمار الخطابة، وسمت منزلته لدى العام والخاص حتى أصبح في الطليعة المجلين في هذه الحلبة، ومن اللامعين والسباقين في هذا الميدان.

آثاره في المجتمع:

كان رحمه الله يجتذب إليه أسماع جمهور كبير من المستمعين، فصارت له مجالس مهمة ومتعددة في المدينة، كلف بالشعر منذ مطلع شبابه وسال طبعه كالماء المتدفق، فنظم القصائد والمقطوعات في الفصحى والعامية، يضمها ديوان كبير ـ يقع في جزئين ـ ومعظم أشعاره في مدح ورثاء آل البيت عليهم السلام كما احتوت على مدح ورثاء شخصيات عراقية معروفة ومشهورة وله عدا ذلك في الأفراح والأحزان وما هو مدون على جدران المساجد والمعاهد والحسينيات.

والشيخ هادي الخفاجي الكربلائي (رحمه الله) لطيف المعشر، عذب المؤانسة حلو المجالسة يريك سحر البيان حلالاً، ولا يمل الحضار من مجلسه كذلك إنه شق طريقه بأسلوب هادئ وأداء رائع وليست هذه السنون التي سلخها في خدمة ميدان الخطابة، وميدان الأدب إلا دلالة أكيدة على صبره وجلده وقوة إرادته، من أجل أن يلتمس ناصية المجد وطريق العزة والشرف والكرامة والرفعة.

وهذا ما استعرضناه بهذه الأسطر في ميدان الخطابة والخدمة وهنا نقف على أعتاب الميدان الآخر من حياته (طاب ثراه) حينما قال وكتب ومدح آل محمد صلى الله عليه وآله وأبين لك بعض كتاباته في رثاء العترة عليهم السلام في قصيدته هذه:

كم بنعمان قد رأيت نعيماً
وبه كم ضممت عبيراً وريما
وبه كم شربت خمرة شوق
والهوى حولنا يهب نسيما
هو عذب للعاشقين ولكن
من يذقه يذق عذاباً أليما
كيف يهوى الهوى فؤادي يوماً
ولزرء الحسين أضحى سقيما
لست أنسى الحسين حين تلقى
من عداه بالطف خطباً جسيما
طلبوا منه أن يبايع رجساً
من بني حرب فاسقاً وزنيما
فأبى السبط شاهراً لحسام
فيه يسقي العدًا شراباً حميما

الى أن يقول في رثائه:

حر قلبي لقلبها مذ رأته
وبنوا الشرك منه حزوا الكريما
يا أخي من ترى يذود الأعادي
بعدك من ترى يحامي اليتيما

وفي رثاء له أيضاً في الحسين عليه السلام يقول فيه:

يصبوا الفؤاد إلى الملاح الخرد
ويبيت طرفي ساهراً لم يرقد
وأبيت أرجو من حبيبي رورة
أحيا بها لتزول نار توجدي
لكن من أهواه يوعدني بأن
يأتي، فيخلف بالتماطل موعدي

الى أن يقول:

هل كيف سلواني وخيل بني الشقا
تعلو صدوركم تروح وتغتدي
يا آل طه هـــاكم مرثـــية
وافى بها هادي ويرجو في غد
ينجو من العقبى ومن أهوالها
ومن الحميم وفي هداكم يهتدي

وله أيضاً طاب ثراه في رثاء القاسم الشاب عليه السلام:

يا زائراً خيم الحسين بكربلاء
طف في جوابنها بدمعٍ ساجم
فأذكره لما شد في جمع العدى
يسطو بصارمه بثغر باسم
فإذا وصلت لخيمة ضربت بها
في يوم عاشورا لأجل القاسم
حتى هوى وخضابه بدمائه
والرأس ملقوف بحد الصارم

هذا ما كان ينظم في حق واقعة كربلاء وله أيضاً في غريب الغرباء الإمام السلطان أبي الحسن علي الرضا عليه السلام فيقول:

بشراكم يا معشر المؤمنين
بالمصطفى وآله الطاهرين
بحبهم سدنا جميع الورى
ولائهم أضحى لنا مفخراً
مثيل أهل البيت يا هل ترى
لعترة المختار في العالمين
سادوا بأمر الله كل البشر
في الصحف قد جاء ونص الخبر
لنا بآل المصطفى مفتخر
وحقنا نفخر بالطيبين
فآية التطهير نص جلي
في الطهر طه وأخيه علي
وهل أتى في فضلهم قد تلي
هذا الذي جاء نصر مبين

إلى أن يقول برثاء الرضا عليه السلام:

يا صاحب العصر بكم فخرنا
وأنتم يوم الجزاء ذخرنا
يوم به تأتي به بشرنا
وبشر كل الخلق والمسلمين

تعود كتابة هذه الأبيات في يوم الجمعة ١١/ذو القعدة/١٣٩٣هـ، نعم هذا هو الشيخ الكربلائي بعطائه وإخلاصه لله تعالى ولآل الله والمترجم له عاصر كثيراً

من الشعراء والخطباء الذين كانوا معه في حق الخدمة أي قدر لهم أن يرحلوا إلى دار البقاء قبله، فمنهم العلامة الكبير والحاج الشيخ عبد الزهرة الكعبي، والشيخ رديف الغزالي، والسيد محمد صالح القزويني، والشيخ علي الحلي، والشيخ حمزة طاهر، والخطيب محمد علي اليعقوبي، والمرحوم الشيخ محمد علي قسام، والشاعر الشهيد معين السباك... الخ، حيث كانت مع هؤلاء الرجال الكرام له علاقة وثيقة وحميمة نمت وتطورت في الإخلاص والمحبة لآل محمد ﷺ والخدامة الحسينية، هذا من جانب ومن جانب آخر أن المترجم له المرحوم الشيخ الخفاجي خلف وأعقب أولاد كالأقمار الزاهرة في سماء الخطابة والأدب فيهم: الخطيب الشيخ صالح الشيخ هادي والشاعر المعروف الشيخ عبد الرسول الخفاجي، والخطيبان الشابان بهاء الشيخ هادي وأخوه علاء الشيخ عادي أعزهم الله وأبقاهم وحفظهم.

وختاماً:

وها نحن إذ نكتب هذه السطور تخليداً للذكرى السادسة عشرة لشيخ الخطباء الحاج هادي خطيب كربلاء المقدسة الذي قضى نصف قرن بالخدامة.

نقول حبذا لو تحتفل الأندية الأدبية في وطننا الحبيب الغالي بذكرى هذا الخطيب الأديب المطبوع الذي أشيد بعبقريته المبدعة وخطاباته الهادفة وشعره الخالد وتتصدى لطبع ديوانه.

لقد أثبت فقيدنا العزيز جدارته في عالم الخطابة، وكان مؤهلاً للعمل وتقديم الأفضل والأجود بأسلوب عصري هادئ وأداء رائع جميل وصوت شجي، لله ما أقسى القدر وما أفدح المصاب ودع فقيدنا في مثل هذه الأيام الدنيا في هذه المدينة المقدسة، في ليلة يوم الأحد ٢جمادى الآخرة عام (١٤١٢هـ) وجرى له تشييع مهيب حضره العلماء والأدباء والشعراء والخطباء ورجال الفكر والثقافة وجماهير غفيرة من أهالي المدينة وباقي المحافظات حملوه بعد زيارة الحرم الحسيني والحرم العباسي الشريفين إلى مثواه الأخير بوادي كربلاء.

فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا.

أرخ: لك النعيم بالعباد

طوبى لشيخ الخطباء هادي ■

خطيب كربلاء الأول الشيخ هادي الكربلائي

السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره

مرقد شهيد الجوزجان.. يحيى بن زيد بن علي

وحدة الحدث واختلاف الأماكن

استطلاع: حيدر الجد •
تصوير: وسام المظفر •

ما أن حل شهر محرم الحرام حتى وفد على الإمام الرضا عليه السلام بخراسان، شاعر أهل البيت عليهم السلام والمنافح عنهم، دعبل بن علي الخزاعي، وهو يحمل قصيدته التائية (مدارس آيات...) التي قدر لها الخلود، واستطاعت أن تحافظ على مكانتها المتميزة في نفوس محبي أهل البيت عليهم السلام، فلا يمر شهر المحرم إلا وتكون الحاضرة الأولى في المآتم والمجالس، حتى أصبحت علامة بارزة من علامات الشهر، تُكتب على السواد كشعار إيذاناً ببدأ مراسم العزاء لذكرى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وعندما قرأ دعبل قصيدته أثّرت في الإمام عليه السلام أيما تأثير، فقد وفق في عرض مآسي العترة الطاهرة، فلم تكن أحداث كربلاء بما فيها عطاشى الفرات وحدها في الصورة وإن أخذت جلها، بل تعدت إلى استعراض مشاهد آل البيت عليهم السلام المنتشرة هنا وهناك، وما هي إلا شواهد حية على ما تعرضوا عليهم السلام له من تشريد في آفاق المعمورة، فمن كوفان إلى طيبة ومن كربلاء إلى بغداد إلى فخ حيث الواقعة الأليمة التي استشهد فيها الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام، إلى (باخمرا) موضع استشهاد إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط.

ثم انعطف دعبل نحو أرض الجوزجان، تلك الأرض التي شهدت واقعة أليمة، أخذت من آل محمد مأخذاً عظيماً حيث ذوى غصن ندي من الدوحة المطهرة هناك، إنه يحيى بن زيد بن علي، الذي سار حثيثاً لعله يبلغ مأمناً من الأرض فكان كلما ابتعد كلما أدركه طلب بني أمية، الذين لم يكتفوا بقتل والده زيد بل راحوا يلاحقونه أينما حل.

ونحن في رحاب الإمام الرؤوف علي بن موسى الرضا عليه السلام قررنا التوجه نحو مزار من مزاراته، الذي يقع في قرية على أطراف مشهد يقال لها (ميامي) التي تبعد عن حرم الإمام حوالي (٥٠كم)، وفي ذلك الصرح نزلنا نقلب الذكريات ونسأل الأرض والتاريخ عن هذا الشهيد، فكانت حصيلة هذه الزيارة استطلاعنا

مخطط يبين مسير يحيى بن زيد منذ خروجه من الكوفة وحتى استشهاده في الجوزجان

الذي سجلناه لمجلتنا (ينابيع) في عددها الخاص بذكرى عاشوراء الحسين عليه السلام حيث توحد الرؤى في الإباء، ورفض الذل، وطلب الشهادة عند الجد والحفيد مع اختلاف في الزمان والمكان.

يحيى بن زيد في دائرة الضوء:

على ضوء ما أورده المؤرخون وأرباب السير والتراجم يمكننا تقسيم حياة الشهيد يحيى بن زيد عليه السلام إلى دورين، كي يتسنى لنا الوقوف بدقة على سيرته والاختلافات الناجمة عن رؤية كل مؤرخ ومدى صحة مصادره التي وثق من خلالها حياة يحيى، بما فيها تنقلاته المستمرة بين المدن والبلدان.

الدور الأول: من ولادته عليه السلام وحتى استشهاد والده الثائر زيد بن علي عليه السلام.

الدور الثاني: ويبدأ من دفنه لجثمان والده وحتى استشهاده بأرض الجوزجان، مع الوقوف على الآثار التي ظهرت بعد شهادته عليه السلام.

الدور الأول:

ولد يحيى بن زيد سنة (١٠٧هـ)[1] بالمدينة وكانت ولادته بعد مضي اثني عشرة سنة من وفاة جده علي بن الحسين، زين العابدين عليه السلام.

أما أمه فهي (ريطة بنت أبي هاشم

عبد الله بن محمد الحنفية)[٢] وقد عناها الشاعر (أبو ثميلة الأبّار) بقوله[٣]:

فلعل راحم أم موسى والذي
نجاه من لجج خضم مزبد
سيسر ريطة بعد حزن فؤادها
يحيى ويحيى في الكتائب يرتدي

عاش يحيى في كنف والده زيد بن علي عليه السلام، الذي كان ناقماً على الدولة الأموية جراء سياستها الظالمة مع المسلمين عامة، وذرية علي بن أبي طالب عليه السلام خصوصاً، فقد لاقت ضروباً من العنف الدموي بكل ما يحمله من معنى، مما كان له الأثر البالغ في بناء شخصية يحيى، التي نضجت وتكاملت على صوت الثورة والنهضة بوجه الأمويين، والظاهر أن يحيى كان البكر من أولاد زيد[٤].

وكان ليحيى من الأخوة ثلاثة وهم: الحسين ذو الدمعة وأمه أم ولد وعيسى أمه أم ولد نوبية اسمها (سكن) ومحمد وهو أصغرهم أمه أم ولد من السند[٥].

أما الحسين ذو الدمعة وقد لقب بـ(ذي الدمعة والعبرة) لكثرة بكائه، قال ابنه يحيى: سألت أبي عن كثرة بكائه؟ فقال: وهل ترك السهمان، والنار سروراً يمنعني من البكاء، يريد بالسهمين الذين قتل بهما أبوه وأخوه يحيى[٦]، وعند استشهاد زيد بن علي عليه السلام في (٣) صفر سنة (١٢١هـ) كانت أعمار أولاده كالتالي:

١- يحيى يكون عمره (١٤) سنة، إذا ما اعتمدنا على الرواية القائلة بمولده سنة (١٠٧هـ).

٢- الحسين ولد سنة (١١٤هـ) وله يوم قتل أبيه (٧) سنين.

٣- عيسى ولد سنة (١٠٩هـ) ويكون عمره يوم قتل أبيه (١٢) سنة على رواية وعلى رواية أخرى عمره أربع سنين.

٤- محمد وعمره يوم قتل أبيه أربعون يوماً[٧] إذا اعتمدنا على سنة استشهاد زيد عليه السلام سنة (١٢١هـ) لا سنة (١٢٢هـ) والتي اختلف فيها المؤرخون[٨].

أما عقبه (فقد أجمع عليه أهل النسب من الطالبيين أنه ولد ليحيى أم الحسن وهي حبيبة وأمها محنة بنت عمر بن علي بن الحسين، وقال غيرهم: له أحمد والحسن والحسين درجوا صغاراً وأم الحسين درجت صغيرة وأجمعوا على أنه لا عقب ليحيى)[٩].

أما (صفاته فقد كان حسن الوجه، أبيض البشرة، قطط الشعر، قوي النفس، شجاعاً مقداماً لا ترهبه الكثرة ولا ترهبه الوحدة)[١٠].

وكان آخر عهد يحيى بأبيه زيد عليه السلام عندما دفنه (بموضع في دار الجوارين في ساقية ودمها ووضع عليها النبات)[١١]، وقد أكثر من عتاب بني هاشم لتخلفهم عن نصرته ونصرة أبيه فقال:

خليلي عنا بالمدينة بلغا
بني هاشم أهل النهى والتجارب
فحتم مروان بقتل بينكم
سراتكم والدهر فيه العجائب
لكل قتيل معشر يطلبونه
وليس لزيد في العراقين طالب[١٢]

الدور الثاني:

ولما لمح يحيى بن زيد عليه السلام فشل ثورة أبيه وتخاذل أهل الكوفة، كان لابد له أن يتخذ قراراً سريعاً فأما البقاء في الكوفة والتخفي في دور الكوفيين وهذا القرار قد يؤدي به إلى ما أدى بمسلم بن عقيل عليه السلام من قبل، أو مغادرة الكوفة وما

حولهـا، فكان الـرأي الثاني هو الذي اتبعه،ولا أدري هل كان عليه السلام قد خطط سـابقاً الالتحاق ببلاد خراسـان؟ أم أن الأحداث سـارت وفق ما رسـم له القدر دون تدخل ليحيى في هذه الرحلة الشاقة التي انتهت به إلى تلك النهاية المفجعة.

لقـد كان يحيى واعياً لمسـيرة أبيه زيد وسائراً على سيرته منذ البداية حتى النهاية،هذا وقد صحب أباه للشام عندما طلبه هشـام بـن عبد الملـك، والتقى به فـي الرقة[١٣]، فـرأى يحيـى موقف أبيه وكلمتـه التي أطلقها (ما كره قوم حر السيوف إلاّ ذلوا)، إضافة لذلك فقد عبّأ زيد ولده ثورياً حيث كان يقول له[١٤]:

أبني إما تقعدن فلاتكن
دنس الفعال مبيض الأثواب
واحذر مصاحبة اللئيم فإنما
شين الكريم فسولة الأصحاب

أمـا رحلـة يحيـى فقـد ابتـدأت من الكوفة وانتهت بالجوزجان، وقد قسمنا رحلتـه بعدد المـدن التي نزلهـا عليه السلام[١٥].

١ـ الكوفـة: (ولما دفن يحيى بن زيد أبيـه رجـع وأقام بجبانـة السـبيع (محلة بالكوفة، نسـبت إلـى ولد السـبيع بن سـبع بن مصعب الهمدانـي)[١٦]، وتفرق النـاس عنه فلم يبق معه إلا عشـرة نفر، قال: سلمة بن ثابت إلى أين تريد؟ فقال: أريـد النهرين ومعه أبـو الصبار العبدي، قـال: فقلت له: إن كنـت تريد النهرين فقاتـل هـا هنـا حتى نقتـل، قـال: أريد نهـري كربلاء، فقلت لـه: فالنجاء قبل الصبح، قال: فخرجنا مسرعين، فكلما استقبلني قوم اسـتطعمتهم فيطعموننني الأرغفـة فأطعمـه إياهـا وأصحابي حتى أتينا نينوى)[١٧].

في الأعلى: المدخل الرئيس لمرقد يحيى بن زيد.. لا تزال أعمال الإكساء قائمة فيه ويبدو هيكلا المنارتين الجانبيتين، تعلو الباب كتيبة تعود إلى سنة ٩٣٦ هـ
في الأسفل: مدخل للمرقد من الجهة الشمالية.. (ميامي)

من النص أعلاه نبين:

أ ـ أن يحيى كان موجوداً بالفعل مع والده وهذا يسقط ما نقله الجلالي عندما قال: (حمل يحيى بن زيد العلوي إلى بخارى مقيداً، ونعي إليه والده)، فأنشده بعض الشعراء قصيدة فقال دع ما تقول واسمع ما أقول، وأنشأ يقول:

إن يكن نالك الزمان ببلوى
عظمت شدة عليك وجلت
وتلتها قوارع داهيات
سئمت دونها النفوس وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها
فالرزايا إذا توالت تولت[١٨]

ب ـ كما يرد (..فقال أريد النهرين..) فهل يقصد بالنهرين، النهروان وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط[١٩]، وقد حذره سلمة من الذهاب إليها بسبب عدم موالاة أهلها لآل علي عليه السلام وهو نفس السبب الذي تذرع به يحيى عندما رفض النزول بأرض نيشابور التي قال فيها: (أرض لا ترتفع فيها لعلي راية)[٢٠]، ولكن يحيى قال له: أريد النهرين، قاصداً بذلك (النهران)، وهما فرعان يُشتقان من عمود الفرات، كانا يجريان في كربلاء قديماً[٢١].

٢ـ نينوى (ناحية في سواد الكوفة منها كربلاء التي قتل بها الحسين عليه السلام وموقعها بالتحقيق شرقي بلدة كربلاء قريبة من الفرات وهي الآن روابي)[٢٢]، وقد نزلها يحيى ومر على قبر جده الحسين عليه السلام، قال سلمة: (أتينا نينوى فدعوت سابقاً (شخص اسمه سابق) فخرج من منزله ودخله يحيى، ومضى سابق إلى الفيوم، فأقام به، وخلف

أعمال التزجيج بالمرايا والنقوش لا تزال جارية في باحة الحرم.. (ميامي)

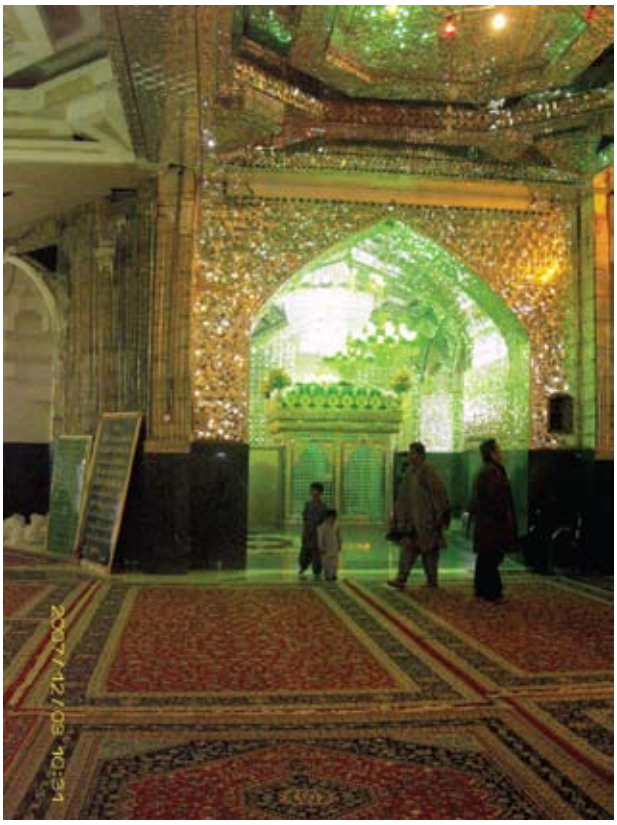

فضاء الحرم المؤدي إلى القبر الشريف.. (ميامي)

يحيى فـي منزله، ومضيت وخليته، وكان آخر عهدي به)[٢٣].

أمـا البـلاذري فيقـول: (فأتـى (يحيى) نينوى ثم أتى قرية قصر بن هبيـرة، ولم يكن القصـر يومئذ، فنزل رجـل من أهل الكوفة، يقال له سالم فتفرق أصحابه عنه)[٢٤].

بمعنى أن كربلاء كانت آخر مكان يجتمع فيه يحيى مع أصحابه فقد تفرقوا عنه بما فيهم سلمة الذي يقول: (...ومضيت وخليته) وسـيأتي أن يحيـى كان بصحبتـه بضـع من صحابتـه الذيـن لـم يتركـوه بـل واصلوا معه الدرب حتى الشهادة.

٣- المدائـن، وكانـت إذ ذاك طريـق النـاس إلى خراسـان، فبلغ يوسـف بـن عمـر الثقفـي (وهـو والـي العـراق، مـن قبل هشـام بن عبـد الملك، ولاه العراق سـنة (١٢١هـ) وأضاف إليه إمرة خراسـان، وعاصمته يومئذ الكوفة)[٢٥]، خبره فسـرح في طلبه حريـث بن أبـي الجهم الكلبـي وقد نزل يحيى علـى دهقان - أي تاجـر - من أهلها، وقيـل أن يحيـى كان يسـكن فـي منزل مـزارع فيها، حيث كان يقوم على خدمته وقـد فات يحيى الطلب حيـث انتقل يحيى إلـى الـري ولـم يتمكن حريث مـن إلقاء القبض عليه.

٤- الـري، وتقـع اليـوم فـي جنـوب طهـران، حيـث مرقـد السـيد الحسـني المعروف بـ(شاه عبد العظيم) وقد ورد في كتاب بلدان الخلافة الشرقية نص غريب يذكر (أن أهل الري من الشيعة يكرهون نهر سـورين ويتطيرون منه لأن جثة القتيل يحيـى حفيـد علي زيـن العابديـن، الإمام الرابع غسلت فيه فلا يقربونه)

وفي رواية أخرى: (قال مسعر بن مهلهل رأيـت أهل الري يكرهونه ويتطيرون منه ولا يقربونه، فسـألت شيخاً من أهل الري عن سـببه، فقال: لأن السـيف الذي قتل به يحيى بن زيد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه غسل فيه)[٢٦]، ولا نعلـم ما علاقة الـري بالجوزجان التي استشـهد فيها يحيى علماً بأن المسافة بين المدينتين تزيد عن ألف كيلو متر بكثير.

٥- سَـرْخَس، مدينة قديمـة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، بينهما وبين كل واحـدة سـت مراحـل[٢٧]، وعليـه تكون سـرخس أول محطة ينطلـق منها يحيى في بـلاد خراسـان وخراسـان في الفارسـية

مرقد شهيد الجوزجان.. يحيى بن زيد بن علي

القديمة معناها - البلاد الشرقية - أو - بلاد الشمس - (وكانت خراسان تضم كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي، وكان إقليم خراسان في أيام العرب ينقسم إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هي: نيسابور، ومرو وهرات وبلخ، وبعد الفتح الإسلامي الأول، كانتا عاصمتا خراسان في مرو وفي بلخ)[٢٨]، معنى ذلك أن خراسان اليوم التي تقع في شمال شرق إيران ما هي إلا نصف خراسان الكبرى أما النصف الآخر فيقع شمال أفغانستان مثل هرات وبلخ اللتان يعدان من أهم المحافظات في أفغانستان وربما تضمن جزأً من الجمهوريات المستقلة عن الإتحاد السوفيتي مثل تركمانستان وغيرها.

وفي خراسان التقى عمير بن متوكل الثقفي البلخي (راوي الصحيفة السجادية) بيحيى ولم يحدد في أي مدينة من خراسان تم لقاؤه فيها، فقد التقى به وعمير في طريق رجوعه من الحج إلى بلخ، كما نقل عمير ترحم الإمام الصادق عليه السلام على ابن عمه وطلب من الله عز وجل أن يلحقه بآبائه وأجداده. والظاهر أن عمير لم يلتحق بثورة يحيى حتى عاد إلى المدينة بعد مقتل يحيى فنقل للإمام عليه السلام الخبر ودفع له الصحيفة التي أودعها عنده يحيى[٢٩].

وفي سرخس أقام يحيى ستة أشهر عند (يزيد بن عمرو)، وأتاه قوم من المُحَكّمة، فسألوه أن يبايعوه على قتال

بني أمية، فأعجبه ذلك منهم فنهاه (يزيد بن عمرو)، وقال: كيف تقاتل بقوم يتبرؤون من علي وأهل بيته، فتقوم معهم على مقاتلة عدوك؟ ففير يحيى تصميمه ولم يخرج مع تلك الجماعة)، وقد واصل يحيى جهوده في جمع المقاتلين الذين سيعدهم، ويزجهم في الثورة الكبرى ضد النظام الأموي الحاكم، إلا أنه يئس من أهل سرخس، فقرر الذهاب إلى (بلخ).

٦- بلخ: ربع من أرباع خراسان التي ذكرناها وتقع اليوم في شمال أفغانستان، وقد كان والي خراسان الكبرى يدعى (نصر بن سيّار الكناني، ت ١٣١هـ)، الذي يتبع يوسف بن عمرو أمير العراق، ولنصر عمال على الأرباع الأربعة التي ذكرناها فقد ولاه هشام أمر خراسان، أما يحيى فقد واصل تحشيده لمؤيديه وناصريه فأتاه خبر موت هشام، وتولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخلافة، وقد عرف عن الوليد مجونه ومعاقرته الخمر وارتكابه الفواحش حتى رمى القرآن الكريم بالسهام حين استفتح به، أما يحيى فقد كان نازلاً في دار الجريش (الحريش) بن عبد الرحمن الشيباني، وعندما علم الوليد بوجود يحيى في مدينة بلخ أرسل إلى نصر بن سيار أن يأخذ يحيى ويسجنه، فبعث نصر إلى عامله على (بلخ) ويدعى عقيل بن معقل الليثي أن يأخذ الجريش أو يأتيه بيحيى، فدعا به عقيل وطالت المحاورة بينه وبين الجريش الذي أبى تسليم يحيى إلا أن ابنه ويدعى (قريش) أخذ جند عقيل وجاء بهم إلى بيته فوجدوا يحيى في بيت

واقع بجوف بيت فقبضوا عليه مع صاحبه يزيد بن عمرو الذي أقام عنده في سرخس والفضل مولى عبد القيس ـ كان أقبل مع يحيى من الكوفة ـ وسيرهم عقيل بن معقل إلى نصر بن يسار في مرو ويومها كانت مرو مركز إدارة ولاية خراسان، كما كان مع يحيى شهاب بن نصر بن خزيمة، الذي قتل والده مع زيد بالكوفة والتحق هو بيحيى فسايره حتى استشهد معه.

٧ـ مرو: وعندما وصل يحيى ومن معه إلى مرو، قام نصر بن سيار بحبسهم وقيدهم بالحديد في (قهندز مرو) أي ـ قلعة مرو ـ وفي ذلك يقول معاوية بن عبد اللّه بن جعفر:

أليس بعين الله ما تفعلونه
عشية يحيى موثق بالسلاسل
ألم تر ليثاً ما الذي حتمت به
لها الويل في سلطانها المتزايل
لقد كشفت للناس ليث عن إستها
أخيراً وصارت ضحكة في القبائل
كلاب عوت لا قدس الله أمرها
فأتت بصيدٍ لا يحل لآكل

وقد تناقلت الأخبار إلى مسامع يوسف بن عمرو أمير العراق قصة يحيى وما قاله معاوية الجعفري فبعث بالخبر إلى الوليد بن يزيد، فكتب إليه الوليد يأمره إطلاق يحيى ومن معه فكتب يوسف إلى نصر بذلك، فدعى به نصر وأمره بتقوى اللّه ثم أطلقه وفك حديده وجاء جماعة من شيعة يحيى إلى الحداد الذي فك قيده وسألوه أن يبيعهم إياه فتنافسوا حتى بلغ عشرون ألف درهم فأعطوه المال ودفع إليهم الحديد، فاتخذوه منه فصوصاً للخواتيم يتبركون بها.

٨ـ سرخس، وسار يحيى بعد ما وجهه نصر إلى دمشق كي يلحق بالوليد ويرى فيه رأيه، وقد سرح نصر بن سيار إلى عماله على المدن أن يزعجوه وأن يسلمه كل عامل إلى العامل الذي يليه حتى يؤمنوا ثورته.

٩ـ طوس: ولم يقم فيه يحيى سوى برهم من الزمن فقد عجل بإخراجه منها عامل الأمويين هناك الحسن بن زيد التميمي.

١٠ـ نيشابور: وكان اسمها (أبر شهر) ـ مدينة الغيوم ـ وكان عامل الأمويين عليها يقال له عمرو بن زرارة فأعطاه كسوة ومتاعاً ثم وجهه إلى بيهق.

١١ـ بيهق: وفيها أحكم يحيى أمره بالنهوض ضد الأمويين، وبالرغم من أنه لم يقيم ببيهق سوى أيام إلا أنه اشترى سلاحاً ودواباً استعداداً لخوض المعركة، ووجد يحيى في أرض نيشابور الساحة المناسبة لانطلاق الثورة لتعم خراسان الكبرى برمتها، وقد وصل خبر يحيى إلى نصر بن سيار فوجه إلى عامله في سرخس وطوس أن ينضما إلى عامل نيشابور ليلاقوا يحيى ويقضوا على حركته.

١٢ـ نيشابور: والتقى الفريقان، جماعة يحيى وعددهم سبعون شخصاً مع الجيش الأموي الذي كان تعداده عشرة آلاف ودارت رحى الحرب، حرب غير متكافئة في العدة والعدد إلا أن النصر كان حليف يحيى فقد هزمهم وقتل قائدهم عمرو بن زرارة ـ عامل نيشابور ـ وأباح معسكرهم وأصاب دواباً كثيرة وغنائم وبعد انتهاء الحرب التفت يحيى إلى أصحابه قائلاً: (إنا كنا قد عزمنا على المسير إلى العراق وكان من هؤلاء ما كان، وهذا حدث عظيم قد أتيناه ولم نجد بداً من ذلك، وليس العراق لنا بعد هذا اليوم دار، فارجعوا بنا إلى خراسان وإذا متنا، متنا

كرماء).

معنى ذلك أن يحيى كانت نيته التوجه إلى العراق ولما دارت معركة نيشابور التي انتصر فيها قرر الرجوع نحو خراسان وكان يعلم أنه سيقتل عاجلاً أم آجلاً.

١٣- هرات، وقد انتقل إليها يحيى ولم يقاتل عامل بني أمية المغلس بن زياد كما لم يتعرض له المفلس، والظاهر أن يحيى عليه السلام مر بهرات ولم يقم بها.

١٤- الجوزجان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان القديمة وهي بين مرو الروذ وبلخ وهي الناحية الغربية من ربع بلخ حسب أرباع خراسان الأربع التي قسمها العرب، وعندما دخل يحيى الجوزجان كان مصمماً على إكمال ما بدأه بالأمس في (أبر شهر) - نيشابور - وبالفعل فقد بدا الأعوان ينضمون تحت رايته حتى قال الراوي: (وسار حتى أتى الجوزجان فانضم إليه قوم من أهلها وأهل الطالقان والفارياب وبلخ فتنام جميع من معه مئة وخمسين رجلاً (خمسمائة رجل).

ولما بلغ نصر بن سيار أمير خراسان مقتل عامله على نيشابور (عمرو بن زرارة) ونزول يحيى الجوزجان أقر بالحل العسكري ضد يحيى وسرح سلم بن أحوز في ثمانية آلاف من أهل الشام وغيرهم من أهل خراسان فخرج سالم فواقعه وقد عبأ أصحابه، فجعل سورة الكندي على الميمنة وحماد بن عمرو السعيد على المسيرة وعبأ يحيى أصحابه، فاقتتلوا ثلاثة أيام ينتصف كل من كل وليست تزول قدم رجل من أصحاب يحيى وكان يحيى يقاتل ويتمثل بقول الخنساء:

نهين النفوس، وهون النفو
س يوم الكريهة أوفى لها

فلما كان اليوم الثالث من آخر النهار رمى رجل من موالي عنزة يحيى بنشابة فأصاب جبهته (صدغه) وحف به أصحابه فقاتلوا أشد القتال سمع به ولم يفارقوه حتى قتلوا عن آخرهم، ووجد سورة الكندي يحيى فاحتز رأسه وأخذ الذي رماه (العنزي) سلبه حتى قميصه، وبعث سلم بن أحوز برأس يحيى إلى نصر فبعث به نصر إلى يوسف بن عمرو، وبعث به يوسف إلى الوليد بن يزيد بدمشق الشام، فبعث به الوليد إلى أمه (ريطة) بالمدينة فجعل في حجرها، فنظرت إليه فقالت: (شردتموه عني طويلا، وأهديتموه لي قتيلاً، صلوات الله عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلا)، وأما جسده الشريف فقد صلبوه ست (أربع) سنين على بوابة الجوزجان ولما ظهر أبو مسلم الخراساني أنزل الجسد فغسله وصلى عليه ودفنه.

تاريخ شهادته:

وقت العصر يوم الجمعة من شهر شعبان سنة (١٢٥هـ)، وقال آخرون: يوم الجمعة من شهر رمضان سنة (١٢٦هـ)، ولم يمهل الله الوليد بن يزيد إذ قُتل بعد استشهاد يحيى بستة أشهر.

عمره وقت استشهاده:

ثمان عشرة سنة إذا سلمنا برواية مولده سنة (١٠٧هـ) والتي ذكرنا في بداية الحديث عن حياته، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن عمر يحيى يوم استشهاده كان ثماني وعشرين سنة فتكون ولادته سنة (٩٧هـ)، وهو عمر يؤهل يحيى أن يقود جيشاً ويعبئ أصحابه ميمنة وميسرة والله أعلم.

محل استشهاده:

اتفق المؤرخون أجمع على استشهاده في قرية (أرغوي) أو (أرعونة) أو (أرعوي) التي تقع بمدينة الجوزجان ولكن الاختلاف حصل في كلمة الجوزجان.

المراقد المنسوبة ليحيى:

نسب إلى يحيى ثلاثة مراقد يقع الأول في منطقة يقال لها (كنبد كاووس) في إيران، بالقرب من مدينة جرجان والآخر يقع في قرية (ميامي) الذي زرناه وأصبح محوراً لاستطلاعنا، أما الثالث فيقع بالقرب من مدينة (سربل) - رأس الجسر - في محافظة الجوزجان بأفغانستان وسنتعرض لذكره أيضاً.

١- كنبد كاووس (قابوس):

يرى بعض الباحثين والمؤرخين أن جرجان هي نفسها جوزجان، وجرجان (كَركَان) تقع شمال إيران، وقد ألحقت بمازندران، يقول السيد علي الهاشمي: (الجوزجان: هي جرجان ويقال لها اليوم (كَركَان) من أعمال مازندران - بلدة تاريخية - لها شأن كبير في التاريخ ولاسيما التاريخ العلمي... والقبر الذي فيها هو قبر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين)[٣٠].

كما أشار إلى مرقده الشيخ محمد حرز الدين قائلاً: مرقده في الجوزجان من أعمال خراسان، عامر مشيد عليه قبة تزوره المسلمون والظاهر أن الشيخ حرز الدين يشير إلى المرقد الموجود في (ميامي) ثم يعلق محقق كتاب مراقد المعارف، حفيد الشيخ حرز الدين يقول: (أن يحيى بن زيد قبره حوالي (كركان) وله مزار وزيارة عامة)[٣١]، وعبارة حوالي (كركان) تشير حتماً إلى كنبد كاووس - أي قبة - (قابوس) التي تبعد عن جرجان حوالي (٦٤كم) كما أشار لنفس العنوان السيد مهدي الرجائي بقوله: (وبلدة الجوزجان الآن يقال لها: كنبد كاووس وقد زرت قبره بها وله ضريح وقبة رفيعة وصحن)[٣٢].

٢- ميامي:

من مشهد الإمام الرضا عليه السلام انطلقت بنا السيارة قاصدين زيارة قبر يحيى بن زيد، ونحن في الطريق لم نشاهد سوى الصحراء التي يحدها عن أبصارنا الجبال أحياناً وأخرى تظهر حتى انتهينا إلى قرية صغيرة ثم انعطفنا نحو مرتفع من الأرض وعندما ارتقيناه بان المرقد المطهر بقبته الخضراء ومنائره الغير مكتملة وقد بين لنا مرشدنا (أبو مهدي) قائلاً: (سابقاً كنا لا نستطيع ارتقاء هذا المرتفع فنترك سيارتنا تحت ونصعد عن طريق مدرجات كانت موجودة ثم أزيلت، كما يذكر كان هذا المزار يضج بالناس وخصوصاً المشاة الذين يقدمون من مشهد في ذكرى استشهاد زيد بن علي، كما كانت هناك مسابح يسبح فيها المرضى لغرض الاستشفاء، إضافة لذلك هناك مقابر عديدة كانت تحيط بالقبر إلا أنها أزيلت بسبب التعمير والتوسعة).

نلاحظ ساحة واسعة تحيط بالمرقد عبارة عن حدائق غناء وأحواض ماء جميلة إضافة إلى مخيمات منتظمة التوزيع وشقق حديثة وعندما سألنا أحد العاملين هناك أجابنا: (هذا المرقد هو ملجأ لأصحاب الحوائج عموماً والمرضى خصوصاً، يقدمون إليه ليجدوا الكرامات الباهرة حيث الشفاء العاجل واستجابة الدعاء تحت هذه القبة المنيفة ونظراً لبعد مشهد عن

الساحة الخارجية التي يطل عليها المرقد وتبدو فيها الشقق المعدة لسكن الزائرين.. (ميامي)

ميامي فإننا أنشأنا هذه الشقق والمخيمات لراحة الزائرين وتوفير إقامة مريحة للمرضى وذويهم كي يكونوا بالقرب من هذا المزار المبارك).

يحيط بالمرقد سور في طور الإنشاء أما المرقد فيتكون من عمارة واسعة تطل على الخارج ببوابات ثلاث تقع في منتصف الجدران الثلاث المحيطة بالمرقد، أما الجدار الرابع فيتوسطه المحراب الذي لازالت أعمال الترميم والتجديد قائمة فيه، والأبواب الثلاثة مغلقة ماعدا الباب الواقعة في الجهة الثانية من المرقد حيث يمكن الدخول للمرقد من خلالها. وعند الدخول تطالعك باحة واسعة تبلغ مساحتها (١٥٠٠م٢) تقريباً وقد زينت السقوف بالمرايا المزججة كما وزعت على السقوف الثريات ذات الجمالية الفائقة مما أضفى على الباحة رونقاً جميلاً يعكس أسلوب العمارة في إيران.

يقع الضريح المبارك في منتصف الربع الأخير من الباحة، وتفصله عنها جدران ثلاث مقوسة شيدت على الطراز الإسلامي، والضريح عبارة عن حجرة مزدانة بالأقواس المزخرفة بالمرايا، يمكن الوصول إليها عن طريق ثلاث مداخل مفتوحة وتعلوها القبة والتي يبلغ ارتفاعها (٥م) تقريباً وقد كسيت من الداخل بالمرايا أيضاً تحيط بها أسماء الله الحسنى، وقد فصل الضريح إلى قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، يعلو القبر صندوق فاخر من الفضة والمطعم بالذهب، تتوزع على أركانه

الأربع أكاليل من الزهور وتحيط بقمته أيضاً كتائب صغيرة مزخرفة، منقوشة عليها الأسماء الحسنى، تبلغ مساحة القبر (٥ ،٧م٢) تقريباً، وقد أخبرونا أن الصندوق كان سابقاً من الخشب، أما الصندوق الحديث فقد شيد على نفقة المرحوم حسن الرامزي وحرمه والمرحوم سامي الرامزي بتاريخ (١٣٧٨) هجري شمسي أي عام (١٤٢١ هـ)، كما تعلو المرقد ثرية تداخلت فيها الإضاءة فاضافت جمالاً إضافة لجمال المرقد نفسه، أما داخل الصندوق فتلاحظ دكة مستطيلة الشكل، غلفت بالشال الأخضر المزدان بالآيات القرآنية والورود المطرزة.

أما أرضية المرقد فقد تم إكسائها بالمرمر الفاخر، وكما قلنا سابقاً فالعمل لازال جارياً في جميع أجزاء المرقد منذ (١٢) سنة تقريباً، كما يجري العمل بنصب أجهزة تبريد في المرقد بتوسط الحاج إبراهيم صقر، من أهالي الكويت.

تطل على الضريح المبارك باب، كانت في السابق المدخل الرئيسي إلا أنها اليوم مغلقة، تعلوها كتيبة حاولنا قراءتها ففهمنا بعض عباراتها منها: (هذا مرقد السيد الزكي يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن علي السجاد بن الحسين الشهيد، وقد شيد في زمن المرحوم ناصر الدين شاه بمساعي علاء الدولة سنة ٩٣٦هـ)، ولا نعلم ما الذي جاء بيحيى بن الحسين ذي الدمعة إلى خراسان وقد ذكروا في ترجمته: (... وتوفي ببغداد سنة ٢٠٧هـ، وصلى عليه المأمون العباسي)، فأما أن يكون هذا القبر الذي زرناه له وعليه نتحقق من صحة انتسابه له إذا لم يغادر المأمون خراسان ويقدم إلى بغداد سنة ٢٠٧هـ، وإذا كان ما ورد في ترجمته صحيحاً فليس هذا القبر بقبره.

للمرقد ست منارات، اثنتان تقعان على طرفي عمارة المرقد، بعد لم يكتملا وتبدو عليهما ملامح المنارة في العمارة المغولية، يبلغ ارتفاع كل واحدة منهما (٣٠م) تقريباً، أما المنارتان الأخرتان فيقعان على طرفي القبة، وهما لم يكتملا أيضاً حيث تظهرا على شكل هيكل حديدي يبلغ ارتفاع الواحد (١٢م) تقريباً، ويقع أمام القبة منارتان صغيرتان والظاهر أنهما كانتا موجودتان منذ القدم.

وقد سمعنا أن للمرقد كرامات باهرة حيث يقصده الكثير من المرضى والمقعدين فيغدون أصحاء، فهذه السيدة الإيرانية كانت تعاني من المرض الخبيث الذي أتي على صحتها فلما قصدت مرقد يحيى المطهر ثم ما لبثت أن عادت لتفحص في المستشفى فتبين عدم وجود أي أثر لذلك المرض وغير هذه الكرامات جرت لعدد من الزوار بينهم من الأخوة الكويتيين الذي استشفوا (ببركة صاحب المرقد وقد إنهالت تبرعاتهم لأعمار المرقد وجعله بمنزلة تتناسب والذي حل في ثراه (عليه وعلى آبائه السلام بكرة وعشية)، يذكر السيد مهدي الرجائي: (ويقال أن رأسه - يحيى - مدفون في أطراف مشهد الرضا في بلدة يقال لها ميامي وقد زرت ذلك المكان أيضاً وله زوار كثيرون يطلبون حوائجهم عند تربته، وقد جرب قضاء الحاجة في مشهده ويعرف المزار بيحيى بن زيد)، يخالف ما نقله السيد الرجائي ذكر إرسال رأس يحيى إلى أمه بالمدينة وإذا تم إرسال رأسه فعلاً للمدينة فهذا يعني أن الرأس دفن فيها أو نقل بعد

ذلك للوليد بن يزيد فدفنه في الشام.

وفي نظري القاصر إذا لم يكن هذا المكان مرقداً ليحيى فهو أما أن يكون المكان الذي سجن فيه أو المكان الذي وضع فيه رأسه عندما تم نقله من الجوزجان إلى دمشق، شأنه شأن مسجد الحنانة المحل الذي وضع فيه رأس الحسين عليه السلام عند نقله من كربلاء إلى الكوفة والله أعلم.

٣- سربل:

وتعني (رأس الجسر)[٣٣] إحدى ولايات أفغانستان الشمالية، تقع بجوار جوزجان وهي بلدة كثيرة الماء وعليلة الهواء مشهورة بطيب سكانها، ينقل موقع (ويكيبيديا): (وفيه دفن الإمام الشهيد يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتل بيد الرافضة حين رفض والده رضي الله عنه لعن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين)، والمعلومة كما تراها فيها مغالطة واضحة حيث بث ناقلها سمومه فيها فيحيى رضوان الله عليه وكما أسلفنا قتل بسيف الأمويين على ما ذكره المؤرخون من أخواننا السنة، والظاهر أن سربل كانت تابعة لولاية الجوزجان التي تعد اليوم من المحافظات الـ(٣٤) بأفغانستان، والجوزجان اليوم لها عاصمة يقال لها شبرغان، تحدها ولاية بلخ شرفاً وسربل جنوباً وفارياب غرباً وجمهورية التركمانستان شمالاً، ويؤكد الأفغانيون في كتاباتهم أن مزار يحيى بن زيد يقع في أراضي الجوزجان ببلادهم، فأرغوى القرية التي استشهد فيها يحيى تقع إلى مسافة كيلو متر ونصف تقريباً من مدينة سربل ويطلقون على اسم المرقد (إمام خورد) - الإمام الصغير، لتمييزه عن (إمام كلان) الإمام الكبير وهو أحد العلويين

في الأعلى: المدخل المؤدي لمرقد يحيى بن زيد ويظهر بعض العلويين عند مدخله

في الأسفل: الشجرة التي يقال إن جسد يحيى بن زيد صُلب عليها.. (الجوزجان/ سرپل)

المدفونين في تلك المنطقة ـ وهذا ما أشار إليه المسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ) بقوله: (فقتل يحيى في المعركة بقرية يقال لها: (أرعونة) ودفن هناك وقبره مشهور مزور إلى هذه الغاية ومن الجدير بالذكر أن هذه القرية يقال لها الآن: (قراغوى)).

ولما أطلق الأفغان اسم (إمام خورد) على مرقد السيد يحيى فقد شمل هذا الاسم القرية التي يقع فيها المرقد والواقعة إلى الشرق من مدينة سربل الحالية، أم المرقد فهو عبارة عن بناء قديم توجد فيه لوحة مكتوبة بالخط الكوفي: (هذا قبر السيد يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، قتل بأرغوي في يوم الجمعة في شهر شعبان المعظم سنة خمس وعشرين ومائة، قتله سلم بن أحوز في ولاية نصر بن سيار، في أيام الوليد بن يزيد لعنهم الله وقد جرى الإعمار على يد أبي حمزة أحمد بن محمد الترمذي غفر الله له ولوالديه، أما القبة فقد أمر بتشييدها أبو عبد الله محمد بن شاذان الفارسي (القادسي) ابتغاء لثواب الله وتقرباً إلى رسول الله ومحبته لأهل بيته الطيبين).

وقد نفذ العمارة أبو نصر محمد بن أحمد الترمذي، يعود تاريخ الأعمار إلى ما قبل حوالي (٨٠٠) عام، وتجدر الإسارة إلى أن هناك شبهاً كبيراً بين الضريح المذكور وبين طراز البناء السلجوقي، ويغلب الظن أن ضريح يحيى عليه السلام إنما بني في العصر السلجوقي.

ونظراً لتزايد عدد الزوار الذين يختلفون إلى مزار يحيى بن زيد عليه السلام، إضافة لضيق المزار ومحدودية مساحته وعدم استيعابه تلك الأعداد الغفيرة، كان لزاماً على الجهات المعنية العمل على توسيع المرقد بما يتناسب ومكانة صاحبه.

لذا بادر جمع من علماء أفغانستان وعلى رأسهم السيد عالمي بلخابي للحصول على الموافقات الرسمية لترميم المرقد، فابتدأ العمل عام (٢٠٠٢م) في ترميم المرقد المبارك، وبوشر بتنفيذ خطة الأعمار الواسعة المتضمنة إضافة أرض مساحتها (٣٤٠٠م٢) للبناء الجديد وتتضمن المجموعة الجديدة الصحن الشريف والحرم إضافة لاستحداث مكتبة عامة وكذلك مستوصف ملحق بالمزار أما التاريخ الفعلي للمباشرة في العمل فهو تموز (٢٠٠٣م) وقد تمت إزالة الأنقاض والأتربة وتسوية الأرض كما تمت أعمال صب الأسس للحرم وتأسيس شبكة أنابيب مياه كاملة، في الوقت الحاضر يتم بناء القبة الشريفة ويوشك المستوصف على الانتهاء تماماً، وقد زار (أ.د.هـ بيوار) أحد المحققين الإنجليز في آب (١٩٦٤م) الجوزجان، والتقط عدداً من الصور للمرقد والمزار والكتابات التي عليه، وقد نشرت الدراسة التي أعدها عام (١٩٦٦م) في تقرير مكتب الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن.

هؤلاء أهل بيت الرحمة أينما حلوا وأينما ذكر مزاراً لهم كانوا ملجأ للمحرومين ملاذاً يلجأ إليه الموالون يقتبسون من نور ساداتهم رشاداً وهداية وضياءً ■

(١) الهاشمي، المطالب المهمة، ص١٧٣.
(٢) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٥٩.
(٣) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١١١.

(٤) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٥٩.
(٥) البخاري، سر السلسلة العلوية، ص٨٧.
(٦) الزمخشري، ربيع الأبرار، باب الأسماء والكنى.
(٧) المقرم، زيد الشهيد، ص١٨٧.
(٨) أبو مخنف، تاريخ، ٣٦٤/٢.
(٩) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٥٩، المقرم، زيد الشهيد، ص١٨٠.
(١٠) المقرم، زيد الشهيد، ص١٨٠.
(١١) الغريري، الزيدية بن الإمامية وأهل السنة، ص٢٢٧.
(١٢) المقرم، زيد الشهيد، ص١٨٠.
(١٣) ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، ٢٧/ ٢٥٨.
(١٤) الجلالي: الصحيفة السجادية، ص٢١٣.
(١٥) سنشير هنا فقط إلى المصادر التاريخية التي تعرضت لسرد أحداث ثورة يحيى: الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ص١٥٠، الطبري، التاريخ، ٢٦٦/٨.
(١٦) البراقي، تاريخ الكوفة، ص١٨٣.
(١٧) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٤٦.
(١٨) الصحيفة السجادية، ص٢١٣.
(١٩) الحموي، معجم البلدان، ٣٧٥/٥.
(٢٠) ابن عنبه، عمدة الطالب، ص٢٥٨.
(٢١) الأمين، الموسوعة الشيعية، ٢٩٥/٧.
(٢٢) معجم البلدان، ٣٩١/٥، المقرم، زيد الشهيد، ص١٨٣.
(٢٣) مقاتل الطالبيين، ص١٤٦.
(٢٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٤٢/٢.
(٢٥) المطالب المهمة، ص١٢٢.
(٢٦) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٥٣.
(٢٧) مراقد المعارف، ٣٦٧/٢.
(٢٨) الأصيلي في أنساب الطالبيين، ص٢٣٨.
(٢٩) مقدمة الصحيفة السجادية.
(٣٠) مراقد المعارف، ٢٦٧/٢.
(٣١) الأصيلي في أنساب الطالبيين، ص٢٣٨.
(٣٢) المصدر السابق.
(٣٣) نسيم، مدفن الإمام يحيى بن زيد في أفغانستان، www.yahyabz.org.

أعمال التوسعة والترميم تبدو واضحة في الصور أعلاه.. (الجوزجان/ سرپل)

قصيدة:

من وحي عاشوراء

عبد الأمير جمال الدين •

إذا جاء نصر الله والفتح فلنقرا ... لمهدينا أشواق أكبادنا الحرّا
غلت يا ابن خير العالمين دماؤنا ... ونحن بعاشوراء نستقبل الذكرى
دماءً بعين الدهر تحرق أدمعاً ... وروح بعين الله تستعبد الدهرا
وجسم على وجه الثرى ودّت السما ... لو افترشت من تحته الأنجم الزهرا
وآل رسول الله يا ابن حبيبهِ ... لآل عدوّ الله قد أصبحوا أسرى
أيغضب طه المصطفى لدموعهِ ... ويرضى لمن أجروا دماء ابنه الحمرا
ويعتب إنْ يُسمع أنين صغيرهِ ... فكيف به إن يسمع الأنّة الأخرى؟!
يناديه ظمآناً تُروّي جراحه ... ثرى كربلا والخصم يرمقه شزرا
ويشكو إلى رب السماوات ظالماً ... غدا من رسول الله ينتظر الثأرا
وغدر عبيد المال قد خفروا له ... ذماماً وما راعوا لذمته قدرا
لقد قلبوا ظهر المجن لمن له ... بأعناقهم من بيعةٍ تلعن الغدرا
يناديهم في كربلاء ألستم ... كتبتم: أن أقدم قد عقدنا لك النصرا
وحذّرهم من سوء عاقبة ومن ... حساب عسير لن يطيقوا له صبرا
قلوبهم غلف وأعينهم عمى ... وإن بسمع الدهر من سمعهم وقرا
يقودهم الجزّار قود أذلةٍ ... إلى مذبح الأصنام يبغي بهم أجرا!
لقد قتلوا طه النبيّ بكربلا ... وقد عجزوا عن ذاك يوم أتوا بدرا
ولم لا وهم قد أنشبوا في فؤادهِ ... خناجرهم إذ وسّدوا سبطه الغبرا
وريحانة بالوحي نمّى جذورها ... وأمرع منها في رياض الهدى جذرا

وكم شربت حتى ارتـوت من لسانهِ وصافحت الخضرا بأفنانها الخضرا

* * * * *

لقد منعوا عنها من الماء مـوردا فراتاً ونهراً قد حكى فيضُهُ البحرا
كـذا غـدروا فـي آل بيت محمد ومـن عـنـده كـانـت مودتهم أجـرا
فيا لقلوبٍ قـد قست وتحجرت ولا عجبٌ إذ كـان إبليسها صخرا
ومن مثل صخر حـارب الله جهرةً وأبـنـاؤه قـد حـاربـوا مثله سـرّا
وإن أمكن الجهر الصراح لحاربوا وأنفسهم قـد زيّـنـت لهم الكفرا
وما آمنوا مذ وحّـد الـلات شيخهم وأسكنها من روحه القلب والصدرا
ثمانون حرباً كـان خلف غبارها وتذكي لظاها ربّـة الخيمة الحمرا
تضرسهم فيها الخطوب وينثني عن الساح فـرّاً عن لظاها ومفترّا
يـبـيـدهـم طـه بـسـيـف أبـن عمه ويملأهم رعـبـاً بضربته الكبرى
غـزا بجنود البأس والـيـأس منهم قلوباً بها الشرك الخبيث قد إستشرى
فأخفوا من الأحقاد ما كان ظاهراً وقالوا لها نامي فنومك ذا أحرى

* * * * *

فمن عـسـلٍ فيه الـسـمـوم جنوده يذوق الردى منها ابن فاطمة الزهرا
إلى المال يعطى للجفاةِ لأجل أن نفوسهم عند إحتدام الوغى تشرى
وأعلنها حرباً على الدين جاحدٌ على غير حُـبِّ الجاهلية مـا قـرّا
تتعته الـصـهـبـاء بـيـن قـيـانـهِ وكـم مـرةٍ ثـارت تـرنـحـه سكرا
يـحـارب ربَّ العالمين ويـدّعـي على المسلمين الـغـرَّ أن لـه أمـرا
إلـى أن أغـاث الدين سبط محمدٍ وسـلَّ لنصر الحق أسيافه البترا
بكل سبطْرٍ فـي الـمـعـاركِ ضيغم يموت لتحيا شرعة المصطفى الغرّا
يـرون بحب ابـن النبي سـعـادةً ومعتصماً تنجو به النفس في الأخرى
فهبوا بوجه الموت واستقبلوا الوغى مطاعين ما ضاقوا بضائقةٍ صدرا
يـقـودهـم عـنـد الـلـقـاءِ سميدعٌ يرى ويـرون الموت في عِـزِّهِ نصرا
حبيب رسـول الـلـه وابـنُ حبيبهِ ومَـنْ أمّـهُ الزهراء مَن تنجبُ البدرا

من زار الحسين كأنما زار الله في عرشه

من آثـــار كربلاء..

مقام (موقف الأمة فضة)
خادمة الزهـراء عليها السلام

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

يقع هذا المقـام في كربلاء في زقاق يعرف بـ(عكد شـير فضة) بمحلة باب النجـف، ويعرف هذا المقام بـ(موقف الأمة فضة) ويعد من أهم الشـواهد التاريخيـة في المدينـة، تقول الرواية إن فضة خادمة السـيدة زينب عليها السلام وقفـت يوم عاشـوراء بعد مصـرع الإمام الحسين بن علي عليه السلام حين رأت الأسد. لما رجع الإمـام علي بن أبـي طالب عليه السلام من حرب صفين، مر بكربلاء في طريقه إلى الكوفة، ولما وصـل كربلاء، أعترضه أسد في الطريق وسلم على الإمام فقال له الإمام: أأنت فـي هذه الأرض؟ قال: بلا، فقـال له الإمام: إذا وقعت حادثة كربلاء عليـك أن تحفظ ولدي الحسـين لكي لا تطأه الخيول.

فلما صار يوم عاشوراء ونزل الحسين بكربـلاء، وبعـد قتله أمر ابن سـعد أن يوطأ صدر الحسين وظهره، فلما سمعت النسـاء مـا أراده ابن سـعد جعلن يبكين فجاءت فضة وقالت: سـيدتي هاهنا أسد أتحبيـن أن أذهب إليـه، فقالت: يا حبذا، وكانت هنا غابة مـن قصب فجاءت إلى تلـك الغابة ونادت يا أبـا حارث[1] هذا هو قبر الحسـين والقـوم يريـدون أن يطأوا صدره، فخرج الأسـد مسرعاً وهز برأسه

مقام (موقف الأمة فضة) خادمة الزهراء عليها السلام

وجاء إلى جسد الحسين وربض عند جثته فأحجمت الخيل أن تدوس صدره[٢].

وهذه الرواية ترمز إلى أن الحيوان المفترس يخدم الحق ويدافع عن ثورة المظلومين بأحسن من خيانة آل أمية وأتباعهم الذين لبسوا الإسلام لغرضهم الخاص.

من هي السيدة فضة؟

نقل المؤرخون وقالوا إنها إحدى بنات ملوك الهند جاءت إلى المدينة المنورة، وكانت تختلف على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام تعينها على شؤون البيت، وقيل اشتراها أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأصبحت بعد ذلك من القانتات الصالحات، ولازمت الزهراء عليها السلام ترعى شؤون الدار والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وبعد استشهاد الزهراء عليها السلام انتقلت إلى دار الإمام الحسن عليه السلام وبعد استشهاد الإمام الحسن انتقلت إلى دار الإمام الحسين عليه السلام، وكانت معه يوم خروجه إلى طف كربلاء ونصبت لها خيمة أسوة بأسرته الكريمة واعتزازاً بها عادت مع آل البيت من العراق، ثم إلى المدينة المنورة في مسيرة الجهاد ضد الطغيان الأموي، وظلت تلازم الحوراء زينب عليها السلام ولا تتكلم إلا بالقرآن، وخرجت معها من المدينة إلى الشام بأمر من الطاغية يزيد بن معاوية حتى وفاة السيدة زينب سنة ٦٢هـ، وبعدها لم يطل العمر بالسيدة فضة كثيراً، إذ سرعان ما التحقت بالرفيق الأعلى في الشام فدفنت فيها، ولها قبر شامخ يتوافد عليه المحبون لآل الرسول صلى الله عليه وآله.

ينقل لنا العلامة المجلسي في (البحار):

أن السيدة فضة حجت مع أولادها الأربعة وانقطعت في الطريق عن القافلة، ورآها رجل من الأعراب وقبل أن يسلم عليها قال لها: من أنت؟ فتلت قوله تعالى: (وقل سلام فسوف تعلمون)[٣] فسلم الرجل وقال: ما تصنعين هنا؟ فتلت الآية: (ومن يضلل الله فما له من هاد)[٤] فقال: أمن الجن أنت أم من الأنس؟ فتلت الآية: (يا بني آدم خذوا زينتكم)[٥] قال: أين تقصدين؟ فتلت الآية: (ولله على الناس حج البيت)[٦] قال: متى انقطعت عن القافلة؟ فتلت الآية: (وخلقنا السموات والأرض في ستة أيام)[٧] قال: أتشتهين طعاماً؟ فتلت: (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام)[٨] فأطعمها، قال لها: عجلي بالسير، فتلت: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)[٩] قال: أردفك خلفي على الناقة، فتلت: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[١٠] فنزل وأركبها فتلت: (سبحان الذي سخر لنا هذا)[١١] وحين أدرك الركب قال لها: ألك أحد فيه؟ فتلت: (وما محمد إلا رسول)[١٢] (يا يحيى خذ الكتاب)[١٣] (يا موسى إني أنا الله)[١٤] (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)[١٥] فصاح الرجل بهذه الأسماء، فأتى أربعة شباب، فقال لها: من هؤلاء؟ فتلت: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)[١٦] ثم التفتت إلى أبنائها الأربعة وتلت: (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)[١٧] فأعطوه بعض الشيء، فاستقلته فضة وتلت: (والله يضاعف لمن يشاء)[١٨] فزادوه وسأل الرجل أبناءها الأربعة عن عادة أمهم هذه. فقالوا: هذه فضة جارية الزهراء عليها السلام وما تكلمت إلا بالقرآن منذ عشرين عاماً[١٩].

وجاء في كتاب (تاريخ وجغرافيائي

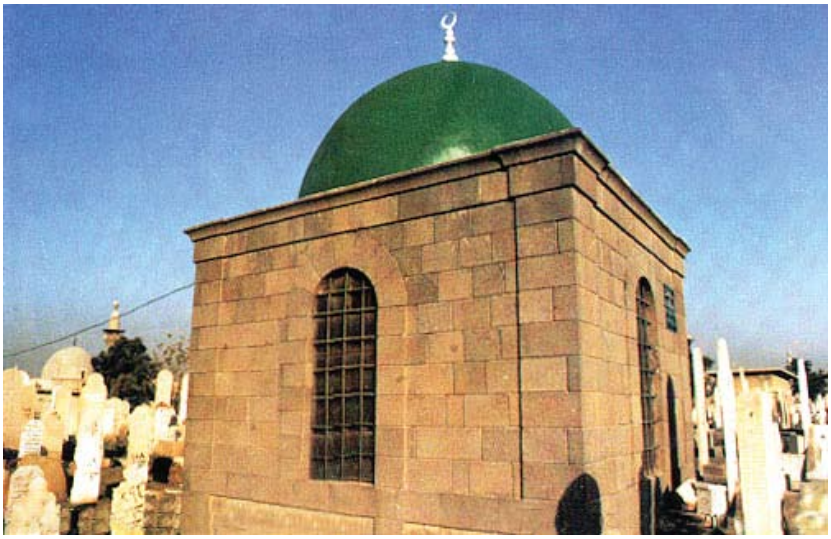

مرقد فضة في الشام

كربلا معلى) ما هذا تعريبه: (في شارع بين الحرمين سوق الصفارين يوجد زقاق باسم شير فضة وهناك على واجهة المقام قصيدة باللغة الفارسية كتبت بالكاشي مع صورة للأسد منقوشة في أعلى الشباك النحاسي، وكتبت في كتاب حضرة زينب الكبرى خلاصة تلك القصة وهي أن فضة خادمة الزهراء عليها السلام قد لاحظت أسداً حيث أن عمر بن سعد أمر بعشرة فرسان تابعة له أن تدوس أجساد الشهداء، وأخبرت فضة الأسد بذلك، وكتب المقاتل المعتبرة روت هذه القصة وحينما جاء الأسد لم يستطع العدو أن يفعل ذلك)[٢٠].

يبعد هذا المقام عن صحن الإمام الحسين عليه السلام مقدار (١٨٠) متراً تقريباً. وكان المقام عبارة عن شباك صغير ملصق بجدار دار، وقد أجري عليه تغيير جذري حيث شيدت قبة من الكاشي الكربلائي ويوجد شباك من المرمر وقد خرجت منه ثلاثة شبابيك فضية والى جانب المقام غرفة للخادم. قام بتجديد المقام المحسن الحاج مهدي قلي عزيز سنة ١٤٢٥هـ ■

---

(١) كناية عن الأسد.
(٢) الأزهار الأرجية في الآثار الفَرجية ـ للشيخ فرج آل عمران القطيفي ج٦ ص١٨٧.
(٣) سورة الزخرف ـ آية ٨٩.
(٤) سورة الزمر ـ آية ٣٦.
(٥) سورة الأعراف ـآية ٣١.
(٦) سورة آل عمران ـ آية٩٧.
(٧) سورة الأعراف ـ آية ٧.
(٨) سورة الأنبياء ـ آية ٨.
(٩) سورة البقرة ـ آية ١٨٦.
(١٠) سورة الأنبياء ـ آية ٢٢.
(١١) سورة الزخرف ـ آية ١٣.
(١٢) سورة آل عمران ـ آية ١٤٤.
(١٣) سورة مريم ـ آية ١٢.
(١٤) سورة القصص ـ آية ٣٠.
(١٥) سورة ص ـ آية ٢٦.
(١٦) سورة الكهف ـ آية ٤٦.
(١٧) سورة القصص ـ آية ٢٦
(١٨) سورة البقرة ـ آية٢٦١.
(١٩) البحار ـ محمد باقر المجلسي ج١٠ ص٨٠.
(٢٠) تاريخ وجغرافيائي كربلا معلى ـ حسين عمادة زاده ص١٧٩.

من زار الحسين محصت ذنوبه كما يمحص الثوب في الماء

أضواء على خطبة الإمام الحسين عليه السلام

في صبيحة يوم العاشر من المحرم

د. حيدر كريم الجمالي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

توطئة:

ينابيع

الإمام الحسين عليه السلام من أبرز من خلدتهم الإنسانية في جميع مراحل تاريخها، ومن أروع من ظهر على صفحات التاريخ من العظماء والمصلحين الذين أسهموا في بناء الفكر الإنساني وتكوين الحضارة الاجتماعية وبلورة القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض، لقد رفع الإمام عليه السلام راية الإسلام عالية خفاقة وحرر إرادة الأمة العربية والإسلامية، فقد كانت قبل واقعة كربلاء جثة هامدة لا حراك فيها ولا وعي مكبلة بقيود التتار الأموي مغلقة لأبواب الكرامة و الحرية، فحطم الإمام عليه السلام بثورته تلك القيود، وحررها من جميع السلبيات التي كانت ملمة بها وقلب مفاهيم الخوف، والخنوع التي كانت سائدة فيها إلى مبادئ الثورة والنضال. لذا جاءت خطبته دستوراً لأحرار العالم ينهلون منها جلّ المفاهيم التي ناضل الإمام عليه السلام من أجلها وأراد غرسها في الأجيال اللاحقة التي ترنو إلى التحرر من قيود الطواغيت والجبابرة والمتسلطين على رقاب العالم.

وقد عرف عنه عليه السلام فصاحة اللسان

وإجادة الخطابة وحضور البديهة عند مناظرة الجمع وتباري مقاول الكلم. وقد شهد له عليه السلام بهذه البراعة القولية أنصاره وخصومه على السواء، كيف لا؟! وهو سليل البيت المحمدي العلوي الطاهر فقد ورث الفصاحة عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد خطب الإمام الحسين عليه السلام في صبيحة يوم العاشر من المحرم في ذلك الجمع خطبتين عظيمتين الأولى المعروفة بـ(انسبوني) والثانية مدار المقالة. فبعد خطبته الأولى، تقدم أصحابه فخطبوا واحداً تلو الآخر. ثم تقدم الإمام عليه السلام بعد أن رأى تعنت أهل الكوفة وأخذ العسكر هرج ومرج فقام فيهم خطيباً فقال عليه السلام[1].

الخطبة:

(ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليَّ فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاصٍ لأمري غير مستمع لقولي قد أنخزلت عطياتكم من الحرام، وملئت بطونكم من الحرام فطبع الله على قلوبكم. ويلكم إلا تنصتون؟ إلا تسمعون؟!

فهدأ العسكر الأموي وأخذ سلام الله عليه المباشرة في خطبته فقال عليه السلام: تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً[2]، أحين

استصرختمونا والهين[٣] فأصرخناكم[٤] موجفين[٥] سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم[٦] علينا ناراً أقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلباً[٧] لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا[٨] لكم الويلات اتركتمونا والسيف مشيم[٩] والجأش[١٠] طامن[١١] والرأي لما يستحصف[١٢] ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا[١٣] وتداعيتم[١٤] عليها كتهافت الفراش[١٥] ثم نقضتموها. فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ[١٦] الأحزاب، ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة[١٧] الشيطان، ومطفئ السنن ويحكم. أهؤلاء تعضدون[١٨]؟! وعنا تتخاذلون؟ أجل والله الغدر فيكم قديم وشجت[١٩] إليه أصولكم، وتآزرت[٢٠] عليه فروعكم فكنتم أخبث، ثم شجى[٢١] للناظر وآكلة للغاصب.

ألا وإن الدعي ابن الدعي[٢٢] قد ركز بين اثنتين بين السلة[٢٣] والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى لنا الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت[٢٤] وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر.

وأنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي:

فإن نَهزِم فهزامون قدماً
وإن نُهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن
منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا
إذا ما الموت رفع عن أناس
بكلكلة أناخ بآخرينا[٢٥]

ثم قال عليه السلام: أما والله[٢٦] لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس[٢٧] حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور[٢٨] عهد عهده إلي أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجمعوا أمركم وشراءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إلي ولا تنظرون. إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم[٢٩] اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسنيّ يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف[٣٠] يسقيهم كأساً مصبرة، فإنهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير).

فائدة:

الخطابة هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته فلابد من المشافهة ولابد من الأقناع وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيده بالبراهين ليعتقدوه كما أعتقده فليس بدعاً أن كان بلاغ النبيين إلى أممهم والراح الذي يسكبه القواد في نفوس جنودهم قبيل المعركة فيسرعون باسمين إلى قتال أعدائهم، وغصن الزيتون يلوح به دعاة السلام في عالم امتلأ ظلماً وجوراً. ونور يهدي المصلحون البشرية إلى الحرية والعدالة.

وتبوب هذه الخطبة في الخطب الجهادية السياسية. لقد ألقى الإمام عليه السلام هذا الخطاب بلهجة قوية، وصيحة قويمة فقد أوضح الموقف ورفع الستار عن كل ما يختلج في القلوب من تشكيك

حول موقفه وقد بيّن بأقواله منهج ثورته وبيان نهضته وأنه عليه السلام مصمم على مواصلة القتال نصرة للحق والعدل، ولو تركه القوم لم يتركهم لأنه ثائر للحق وقد تركوا العمل به وأقبلوا على الباطل كما أوضح لهم ذلك، فهو عليه السلام لم يقدم أرضهم إلا بعد أن دعوه وقد راسلوه بالأمس وهم اليوم في جيش آخر معاد له بكل صلافة. وأجابوه بجواب ليس للتعقل فيه من أثر ولا للتفكير فيه من صلة وقد صمم الإمام عليه السلام على خطين لا ثالث لهما. إما أن يستسلموا لدعوته عليه السلام والوفاء بما عاهدوه، أو التضحية فأعلنها كلمة خالدة ترددها الأجيال وتسير على منهاجها الأبطال وأباة الضيم وترك تلك الأجسام الثقيلة على الأرض لا تستقم عليها فهي تموج حيرةً وذهولاً. نادى عليه السلام وأعطى دروسه الأخيرة، ورفع شعار الثورة وأعلن عن وقوعها بقوله: (ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر).

فتيقظت ضمائر جماعة من أعيان جيش ابن سعد فالتحقوا بمعسكر الحسين عليه السلام، وهم من أبطال الكوفة كأبي الشعثاء ويزيد الكندي والحر الرياحي وغيرهم عدد يربوا على الثلاثين رجلاً.

الخطبة من المنظور الفني:

لا يمكن لباحث أن يستجمع في المقال من صفحات معدودة سمات هذه الخطية العظيمة ولكنني أحاول أن ألقي الضوء عليها موجزاً راجياً بيان عموم سماتها الفنية منها:

أ/ الطابع البدوي ـ الجزالة والوضوح ـ ظاهرة تلفت النظر في خطابة الأئمة سلام الله عليهم أنها توسمت بالطابع البدوي المحافظ على سليقة لغة العرب فظلت خطاباتهم سيما خطابة الإمام الحسين عليه السلام بوجه عام تحمل في أسلوبها طابعاً أقرب إلى لغة البراري سواء في ألفاظها أو في تراكيبها أو في الأبيات التي كان الأئمة عليهم السلام يتمثلون بها. بل تجاوز ذلك كله إلى طريقة الأداء زيادة على الجزالة والقدرة وهذا ما توافر في كلماته عليه السلام.

فألفاظه تجدها كلها فصيحة، بعيدة عن الغموض ذات دلالات واضحة بعيدة عن اللحن والتصنع فالمقصود بها هنا هي الفصاحة والبلاغة ومثل ذلك اختياره لألفاظ مثل: (أنخزلت، وترحا، استصرختمونا، والهين، موجفين، حششتم، أقتدحناها، إلباً، مشيم، الجأش، الطامن، يستحصف، طيرة الدبا، تداعيتم، شذاذ، نفثة...) وغيرها وهذه كلمات فصيحة قد ابتعد عنها العرب لتقارب مدنيتهم من الحواضر وابتعادهم عن موطن الفصاحة مما أذهل الجمع وأزادهم حيرة. كيف لا وهو سليل الفصاحة والبلاغة والبيان.

ب/التنسيق:

أول ما يفتقر إليه الأسلوب الخطابي التنسيق والمراد به حسن اختيار الألفاظ والتعابير ذات الدلالات الواضحة والمؤدية للمعنى. والمراد التعبير عنه، دون لبس ولا غموض مع العناية بترتيب الألفاظ والعبارات لتكون واضحة الدلالة على المعاني فإن من يستمع إلى خطبة ما ينبغي أن تصل إليه أفكار الخطيب واضحة جلية منسقة كي تحقق الغاية من الخطبة، وهي الإقناع العقلي والاستمالة العاطفية، وأي غموض أو اضطراب في التعبير يخل بهذا الغرض. وليس لدى السامع فسحة

في الوقت تتيح له إنعام النظر في أقوال الخطيب لاستجلاء معاييه، وهو بهذا يختلف عن القارئ الذي يتيح له المجال أن يعيد قراءة عبارة الكاتب أكثر من مرة حتى يدرك معناها. فالخطيب مطالب إذن بترتيب أفكاره وتنسيق عباراته وتجنب التعابير الملتوية والغامضة والألفاظ المبهجة الدلالة، وكل ما من شأنه أن يجعل إدراك المعنى عسيراً، أو بطيئاً كالأكثار من الجمل الأفتراضية أو أطالة الجمل إطالة مسرفة. وإيراد الألفاظ الغريبة. والإمام الحسين عليه السلام من الخطباء المفوهين الممتازين، كان عليه السلام شديد الحرص على هذه الخصلة، بطبعه يؤثر عليه السلام الوضوح ودقة التعبير وهو بخطبته هذه أيقن عليه السلام أن القوم قد أستحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله (تبارك اسمه) وحق أهل بيته عليهم السلام فلا مفر من الخاتمة السعيدة، الحياة الأبدية التي يرتجيها الأحرار فبعد ما قدم في خطبته الأولى الأسباب الموجبة لثورته وما ذكره أصحابه (رضوان الله عليهم) بعده من بيان لمظلومية الإمام عليه السلام خطب ثانية ليؤكد لهم أن الشهادة طريقه ثم عمد لينكل بهم أيما تنكيل ويريهم مستقبلهم المشئوم بعده. فقال عليه السلام: (ألا وأن الدعي أبن الدعي قد ركز بين أثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله... مصارع الكرام).

فالإمام سلام الله عليه وطد لاستشهاد أهل بيته وأصحابه متنقلاً من فكرة لأخرى بتسلسل منطقي مرتب جعل العدو في حيرة من أمره ثم ختمها بقوله (ألا وأني زاحف... الناصر). فأصبحت الأمور أوضح في خلجاتهم فلا مفر من القرار وما هي الا لحظات وتثار جلبة السيوف لتنهي ذلك الأمتحان الصعب بين الخلود والفناء.

ج/الإيجاز: في طليعة الدعائم التي يعتمد عليها الأسلوب الخطابي ولا تظهر روعة الأداء الخطابي الا في مقدرة الخطيب على التعبير عن أفكاره تعبيراً موجزاً مكثفاً - مركزاً - قد استحوى فكرته التي يريد بثها ومن شأن هذا التكثيف أن يضفي على الأسلوب الخطابي الرشاقة والحركة - من خلال التنقلات الموجزة للجمل القصيرة - تجعل المتلقي متشوقاً لمتابعة الخطبة. كما أنه يمد النص بالحياة والقوة ويبعد المتلقي من الملل والسأم فيكون له أبلغ الوقع وأقوى الأثر في نفس المتلقي. فالإيجاز سمة البلاغة الأصيلة والإمام الحسين هو سليل البيت المحمدي المعروف بفصاحته وبلاغته. فكان يعنى بسليقته بترتيب جمله بعيداً عن التصنع مما أضفى عليها حركة وحرية توحي دلالاتها بسمو معانيها من مثل قوله: (أنخزلت عطياتكم) و(ملئت بطونكم من الحرام) و(طبع الله على قلوبكم) و(تبا لكم) و(استصرختمونا والهين) و(اصرخناكم موجفين) و(سللتم علينا سيفا) و(حششتم علينا ناراً أقتدحناها على عدونا) و(فاصبحتم إلباً). وهكذا تتساير تلك الجمل القصيرة معانيها ذات الدلالات المتعددة إلى نهاية خطبته عليه السلام.

د/الأسلوب العاطفي:

من مميزات هذا الأسلوب أنه يهدف إلى إثارة مشاعر المتلقي والتأثير في عواطفهم، ومخاطبة العواطف تحتاج إلى أسلوب خاص هو ما دعوناه بالأسلوب العاطفي. ومن ركائزه الإتكاء على

الأسلوب الإنشائي باستعمال صيغ النداء كقوله عليه السلام: (أيتها الجماعة) (عبيد الأمة) (شذاذ الأحزاب).. والتعجب: (ألا تنصتون) و(ألا تسمعون)... والدعاء: (اللهم سلط عليهم) والتعجب في قوله: (فهلّا لكم الويلات) : (ألا تسمعون) (وعنا تتخاذلون) والاستفهام في قوله: (أحين استصرختمونا) و(أهؤلاء تعضدون) (ألا تنصتون)... وغيرها.

والتمني والعرض التخصصي: (ألا وإن الدعي) و(ألا وإني زاحف) و(لا تسمعون).

والأمر والنهي: (احبس عنهم) و(ابعث عليهم) و(سلط عليهم) مع ما تردد في هذه الصيغ من معانٍ كالتوبيخ والتقريع والتهديد والتهكم والتحقير كقوله عليه السلام: (لكم الويلات) (تبا لكم) (سحقاً لكم) (ويلكم) (ويحكم) والبراعة في استخدام الألفاظ القوية لاسيما التي تؤثر في نفس السامع بجرسها ومنها (تنصتوا) و(تسمعوا) و(استصرختمونا) و(والهين)، (موجفين) (حششتم) (اقتدحناها) (إلباً)، (مشيم) (الجأش) (طامن) (يستحصف) وغيرها.

ومن ركائز الأسلوب العاطفي اللجوء إلى أسلوب التوكيد من طريق استعمال أدوات التوكيد البلاغية والقسم والتكرار كقوله: (تنصتوا إلي فتستمعوا) (ألا تنصتون) (ألا تسمعون). (استصرختمونا... فأصرخناكم) (أما والله لا تلبثون) (أني زاحف) (كلكم عاص) (أجل والله الغدر فيكم قديم) والبلاغيون القدماء يرون في استعمال أسلوب التوكيد تقريراً للفكرة في ذهن المخاطب، وقد أغفلوا نفسية المتكلم فهي التي تدعوه أحياناً إلى استعمال أساليب التوكيد تنفيساً عن شعوره وبدافع عاطفته المتأججة لا مراعاة لحال المخاطب.

هـ/الأسلوب التصويري:

لعله النجع في إثارة السامعين وتحريك نفوسهم في تعبيره عن أفكاره ومعانيه والصورة الخيالية تفعل في النفس ما لا يفعله أداء الفكرة أداءً حقيقاً مباشراً ففسحوا للتعبير الخيالي مكاناً رحباً في خطبهم واستعانوا بالصور في أداء معانيهم فقال عليه السلام: (سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم) فهو يخاطب أهل الكوفة الذين لم ينصروا علياً عليه السلام والحسن وسلوا تلك السيوف المشؤومة عليه، والسيف يعني القوة والنفوذ وقال عليه السلام: (وحششتم علينا ناراً أقتدحناها على عدونا وعدوكم) هذه النار التي أشار إليها الإمام عليه السلام أنما هي النور الهائل الذي سطع على الجزيرة العربية بنبوة جده رسول الله صلى الله عليه وآله فأحرق الظلم والطغيان وكانت تحمل إلى البشرية وهجاً ساطعاً أثار قلوب الناس وعقولهم فلم يمض على هذه القدحة (٥٠) سنة حتى كانت هذه النار تحرق بيوت آل محمد صلى الله عليه وآله.

وقال عليه السلام: (فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم) وهذه هي الردة الثانية، وهي أعظم من الردة الأولى وتحدث الإمام عن الأولى بقوله: (سللتم علينا سيفاً...) وقد حددها الفرزدق الشاعر عندما التقى بالإمام الحسين عليه السلام في الطريق إلى العراق بشكل دقيق إذ قال للإمام: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك) وهذا تشخيص دقيق للحالة السياسية والنفسية للناس يومئذ.

وقال يصفهم: (بغير عدل افشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم) وهذا التغير في

سلوك أهل الكوفة لم يكن يسبقه عدل لبني أمية أو حتى أمل يرجونه فيهم على العكس من أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا موطن العدل والصلاح والهدى.

وقال عليه السلام: (فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم وعصبة الإثم ونفثة الشيطان... تعضدون).

فهذه التراجعات في خلق هؤلاء القوم جعلتهم أقرب إلى العبيد لأن العبيد ولائهم لمن يشتريهم ليس لولائهم أصل ثابت، وأخذ يدعو عليهم بالبعد من رحمة الله والسحق هو البعد.

وقال عليه السلام: (غدر... للغاصب). وهنا يتحول الكره والشر من حالة عارضة إلى حالة أصلية عريقة داخل نفوس هؤلاء فقد ورثوه من أسلافهم الذين حرموا الإمام علياً عليه السلام حقه الشرعي في الإمامة والخلافة فللشر عراقة وأصالة وجذور تمتد إلى الفطرة والعقل والضمير والقلب، وجذور الشر تمتد إلى الهوى. وعندما يتأصل الشرّ والهوى في النفس يفقد صاحبه كل منابع الخير في نفسه وتنضب في قلبه وضميره وعقله وفطرته كل جذور الخير وأصوله فقال: (ألا إن الدعي... وخذلان الناصر) فالإمام الحسين عليه السلام أنسان عقائدي، وهو صاحب مبدأ وحامل رسالة والإنسان الذي يتصف بهذه الصفة هو انسان فدائي لعقيدته ومبدئه ورسالته ويكون لديه الاستعداد الكامل للتضحية والبذل والفداء فهو لا يفكر في البقاء والحياة إلا إذا كانت الحياة تكسبه نصراً لعقيدته ورسالته وإذا كان الموت والفداء يحققان النصر للمعتقد وللهدف المنشود فالموت لديه أفضل من الحياة التي لا تقدم نصراً للعقيدة فالحسين عليه السلام كان في زمانه ولا يزال إمام المؤمنين وأولى بالمؤمنين بصفات الإيمان ومن هنا جاء قوله عليه السلام: (ألا إن الدعي...) وليس هذا من التكبر الباطل في شيء وإنما هو الاعتزاز بالله ورسوله، حينما تسمع قوله صلى الله عليه وآله: (من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان وغنىً من غير مال وطاعة من غير ذلة فليتحول من ذل معصية الله إلى عزّ طاعته).

و/أسلوب التمثيل والموازنة:

كان الخطباء يلجئون إلى أسلوب التمثيل والموازنة حالة بحالة أخرى ليكون كلامهم أوقع في النفس وأبلغ وهم يستمدون هذه الأمثال في الغالب من أمثال العرب المتداولة أومن القرآن الكريم.

فقال عليه السلام: (والرأي لما يستحصف) (الجأش طامن) (كطيرة الدبا) (وتداعيتم عليها كتهافت الفراش) (شذاذ الأحزاب) (عصبة الأثم) (نفثة الشيطان) (ألا كريثما يركب الفرس) (تدور بكم الرحى وتقلق بكم قلق المحور).

ز/التمثل بالشعر:

جرى خطباء العرب منذ سالف العصور على التمثل بالشعر في خطبهم، وهي ظاهرة مميزة في الخطابة العربية ولقد أتاحت وحدة البيت الشعري في القصيدة العربية أن يختار الخطيب بيتاً أو عدة أبيات يوردها في خطبته دعماً لفكرة أتى بها أو تصويراً لحال من الأحوال وهذا من شأنه أن يضفي على الخطبة طابع القوة والبداوة وأكثرها نجد التمثيل بالشعر في خطب الأئمة سلام الله عليهم.

والإمام عليه السلام تمثل بأبيات فروة بن

مسيك المرادي، أراد أن يربط بين موقفه وموقف أعدائه ليعطي غداً التاريخ كلمته فهو يعلم جيداً أنما قدم للشهادة مما دعمه في نصره المعنوي الذي تفوق على السيف في كربلاء المجد.

ح/السجع:

ليس من الظواهر الفاشية في خطب الأئمةعليهم السلام وما وقع منه عن طريق التوازن في الخطبة فلم يكن الإمام ملتزماً بالسجع، ولا مطلوباً لذاته والأسلوب المرسل القصير الفقرات هو الطابع الغالب على خطبته سلام الله عليه.

ي/الأثر الإسلامي:

ما كاد الإسلام يبسط ظله على الأمة العربية وما كان القرآن الكريم يتلى على أسماع العرب حتى كان النثر العربي يستجيب مسرعاً لهذين المؤثرين الجديدين ويخضع لهما وسرعان ما ظهرت فيه سمات مستحدثة لم يعرفها النثر الجاهلي وسرعان ما اكتسب النثر والخطابة الإسلاميان طابعاً جديداً يبتدئ بالمقدمة، والدعاء بالخاتمة فضلاً عن متن الخطبة.

وقد برز هذا الطابع قوياً واضحاً في خطابة الإمامعليه السلام لأنه سليل البيت المحمدي المطهر من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فطبعت خطبه صوراً وآيات إسلامية ضمنها، فكانت مزدحمة بالفكر الإسلامي والمعاني ومنه قولهعليه السلام: (أدعوكم إلى سبيل الرشاد) اقتباساً من قوله تعالى: (أهدكم سبيل الرشاد) وقوله تعالى: (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد). وقولهعليه السلام: (فاجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها) وقولهعليه السلام: (إن ربي على صراط مستقيم).

زيادة على الألفاظ الإسلامية التي توشحت بها الخطبة منها (أطاعني) و(طبع على قلوبكم) و(استصرختمونا) (بغير عدل) (أوليائكم) (عبيد الأمة) (شذاذ الأحزاب) (نبذة الكتاب) (محرفي الكلم) (عصية الأثم) (نفثة الشيطان) (مطفئ السنن) (الدعي ابن الدعي) (رسوله) (المؤمنون) وغيرها.

ك/المؤثرات البلاغية والبيانية والبديعية:

وهي من كماليات النص الخطابي يستعين بها الخطيب في تقوية صوره وإبداعه فمن التشبيه قولهعليه السلام: (كطيرة الدبا) و(كتهافت الفراش) و(كريثما يركب الفرس).

ومن الجناس قوله: (انخزلت عطياتكم من الحرام) و (ملئت بطونكم من الحرام) ومن الأضداد قولهعليه السلام: (والسيف مشيم) شاء السيف سله وأغمده. ومن الطباق قولهعليه السلام: (المرشدين، المهلكين) وقوله: (لأعدائكم على أوليائكم) (تعضدون وتتخاذلون) (السلة والذلة) فضلاً عن الاستعارة والكتابة.

ومن الكتابة قولهعليه السلام: (لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس) عن سرعة تلاحق الأحداث، وقولهعليه السلام: (حتى تدور بكم الرحى وتقلق بكم قلق المحور) كناية عن تطاحن الأحداث. ومن الاستعارة قوله: (الدعي بن الدعي) وهو استعارة لـ (عبيد الله بن زياد) وكذلك (السلة) استعارة للموت (والذلة)، استعارة للاستسلام. وقوله يصفهم:

(بشذاذ الأحزاب، نبذة الكتاب، محرفي الكلم، عصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئ السنن) وهذه الاستعارات المتتالية جاءت في وصف هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم.

ل/قدسية النص:

وهذه القدسية أعطته بعداً إيحائياً جعلت الخلود له سمة من السمات التي تميز بها هذا النص ومنها قوله عليه السلام: (هيهات منا الذلة) وهذا الشعار أصبح متداولاً على لسان الأحرار يستشهد به المسلم والمسيحي وغيرها وما انطوى عليه النص من أسرار قدسية غيبية وهي ما ذكره الإمام عليه السلام مما سيحدث بعده على أهل الكوفة جراء موقفهم هذا. وهو قوله: (أما والله لا تلبثون بعدي...عهد عهده إلي أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)ثم دعاؤه الذي تحقق بعده وهو قوله: (اللهم سلط عليهم غلام ثقيف..) وهذا تحقق أيضاً ■

---

(١) مصادر الخطبة: الفتوح - ابن اعثم -: ٢١٢/٥، الفصول المهمة: ١٧٥، التذكرة الحمدونية:١١/٥، ٥٦٩، تذكرةالخواص:١٤٣، تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر -١/٣٣٣، اللهوف في قتلى الطفوف - ٤٣ - مقتل الحسين - الخوارزمي -:٧/٣، مقتل الحسين - المقرم - ٢٣٣، مقتل العوالم: ٢٨٤، وغيرها.

(٢) الترح ضد الفرح.

(٣) الوله: ذهاب العقل وشدة التحير.

(٤) اصرخناكم: اجنبا دعوتكم.

(٥) بسرعة.

(٦) جمعتم حطبها واشعلتموها.

(٧) تجمع وتحشد.

(٨) نتيجة لموقفكم تلقوا ما يجري عليكم من المصائب والأهوال.

(٩) شام السيف: سلّه وأغمده وهو من الاضداد.

(١٠) الجأش: الفؤاد.

(١١) حَسُن عمله.

(١٢) أي رأياً يابساً.

(١٣) الدبا: الجراد قبل أن يطير.

(١٤) تداعيتم: تجمعتم على باطلكم.

(١٥) صغار البق.

(١٦) مفرقي الجماعات.

(١٧) النفث أقل من البصاق يخرج من الفم ومنه قوله تعالى: (النفاثات في العقد).

(١٨) تؤيدون وتساندون.

(١٩) من الوشيجة الصلة والتشابك.

(٢٠) نبشت وقويت.

(٢١) الحزن.

(٢٢) كناية عن اللعين عبيد الله بن زياد.

(٢٣) كناية عن السيوف والرماح يعني - الموت: الشهادة -.

(٢٤) أهل البيت.

(٢٥) هذه الأبيات اختلفت من رواية إلى أخرى من حيث عدد أبياتها.

(٢٦) قسم لليقين.

(٢٧) كناية عن سرعة الأحداث وفي بعض المصادر (الجمل).

(٢٨) كناية عن عدم الاستقرار.

(٢٩) يونس (٧١). والقسم الأخير من الآية من سورة (ص).

(٣٠) كناية عن المختار الثقفي الذي أخذ بالثار.

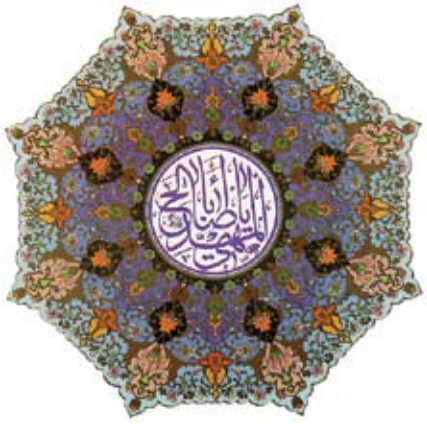

إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا

دراسة مجازية لجدوى مشروع الإمام الحسين عليه السلام الجهادي.. اقتصادياً

م. م. علي الفضل •

كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة

ينابيع

المشاريع التجارية متشعبة وتختلف من حيث تحقيقها للربح ومخاطرتها فهناك مشاريع ذات مخاطرة عالية وعادة ما تكون أرباحها كبيرة، ومشاريع منخفضة المخاطر قليلة الأرباح، ولتلك المشاريع عمر يبدأ ببداية المشروع ثم ينمو ليصل إلى مرحلة الازدهار وبعدها يبدأ بالانحدار حتى ينتهي المشروع، ويدخل ضمن معيار تصنيف المشاريع التجارية، معيار الهدف من إقامة وتشييد المشروع ورسالته والفئة المستفيدة منه وغيرها .

وعندما يرغب التاجر بدخول السوق لاستثمار أمواله في مشروع ما عليه أن يدرس السوق جيدا ويدرس المشاريع المعروضة عليه وفق المدخل الذي طرح في بداية حديثنا وهو مدخل تقييم المشاريع أو الجدوى الاقتصادية ومن ثم يعمل مفاضلة ومقارنة بينها ليقوم بعملية اتخاذ القرار واختيار المشروع الذي يلائمه طبقا لميوله التجارية وأهدافه وما يحققه من فائدة.

هذا يقودنا إلى نتيجة أن التاجر الناجح إذا اختار مشروعا عليه أن يتحمل مسؤولية هذا الاختيار وان يضمن عناصر النجاح وفرصه ويرضي شركائه بتحقيق الربح

الوفير ومشروعه طويل الأجل بغض النظر عن مخاطرته التي لاتتعارض مع المنطق.

واليوم نحاول أن ندخل سوقا فيه تجارة من نوع خاص مكان السوق يقع في العراق في مدينة كربلاء التي تقع على ضفاف الفرات دخلناها عام ٦١ هجرية لنشهد دراسة جدوى اقتصادية أجراها الإمام الحسين عليه السلام على مشروعين بهدف اختيار الأفضل، عسى أن ننتفع من هذه الدراسة في تجارتنا اليومية.

أغلبنا يعلم بالأحداث التي قادت الإمام الحسين عليه السلام منطلقا من المدينة وما دار في الكوفة أثناء رحلته وصولا إلى كربلاء وما كان يحمل الإمام عليه السلام من أفكار وأهداف (واني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب) وانطلاقاً من بدء المفاوضات التي عرض فيها معاوية (لعنه الله) في حياته على الإمام الحسين عليه السلام ومن ثم زعماء يثرب فكرة المصالحة مع يزيد والتي كان مضمونها مبايعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد (لعنه الله) والمحاولة الثانية لإرغام الحسين عليه السلام على مبايعة يزيد بعد موت معاوية (لعنه الله) فأرادوا من الإمام أن يعيش ذليلا في ظل حكم فاسد وقد صرح الإمام الحسين عليه السلام قائلا: (ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ونفوس أبية وأنوف حمية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

ومحاولة الشمر (لعنه الله) يوم الخميس في التاسع من محرم مخاطبا أبناء أم

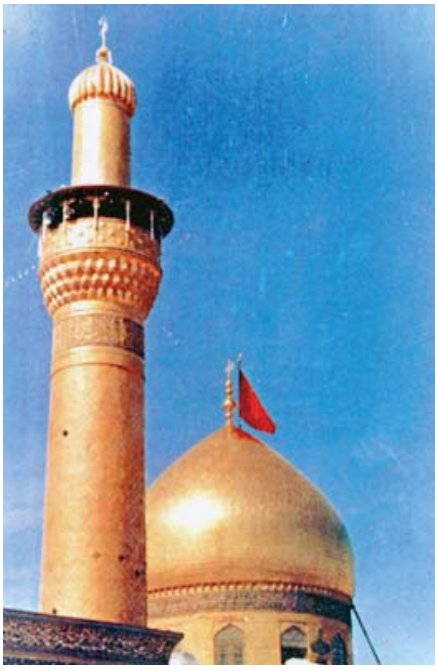

البنين عليه السلام فقال: (أنتم يا بني أختي آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين وألزموا طاعة يزيد.فقالوا له:لعنك الله ولعن أمانك؛ أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟).

وأخيراً نعرف جيداً ما حصل للإمام الحسين عليه السلام وبلوغه الشهادة في سبيل الله واستشهاد كافة الرجال الذين رافقوه من أصحابه وذريته وأخوته وأبناء أخيه باستثناء الإمام السجاد عليه السلام وسبي النساء بعده، إذا الإمام أمامه مشروعان في سوق كربلاء :

المشروع الأول:

قتال أتباع يزيد الذين احاطو بالإمام وعياله عليه السلام في كربلاء وبحشود كبيرة حتى نيل الشهادة (وهذا ما حصل بالفعل وأعطيناه الأولوية في التسلسل

كمشروع).

المشروع الثاني:

قبول الإمام الحسين عليه السلام المصالحة مع يزيد ومبايعته والعيش في ظل حكومته.

عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد عن ابن القداح عن أبيه الميمون عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا أراد القتال قال هذه الدعوات: (اللهم انك أعلمت سبيلا من سبلك جعلت فيه رضاك وندبت إليه أوليائك و جعلته اشرف سبلك عندك ثوابا وأكرمها لديك مآبا وأحبها أليك مسلكا ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليك حقا فاجعلني ممن اشترى فيه منك نفسه ثم وفى لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهدا ولا مبدلا تبديلا)، والدعاء طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

أننا متأكدون أن الإمام الحسين عليه السلام وشركاؤه رددوا دعاء أبيهم وأميرهم كثيراً يومها وانطلقوا بدراستهم الاقتصادية لمشروعهم من الآية الكريمة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التوبة-١١١).

إن كل عملية بيع تتطلب سبعة عناصر كي تكتمل وهي (المشتري، البائع، الثمن، البضاعة، وثيقة البيع، تحقيق الربح، السوق) وسنحلل المشروعين أعلاه وفق هذه العناصر السبعة مضافة أليها معيار العمر الزمني للمشروع وصولا للنتيجة النهائية وهي الجدوى الاقتصادية.

التحليل الاقتصادي للمشروع الأول:

المشتري: الله جل جلاله وهو غني كريم عندما يدفع ثمن البضاعة يدفع بسخاء وكرم مطلق.

البائع: العبد الصالح وهو يبيع عن طيب نفس لتجرده عن المادية وجوده بنفسه وهي أغلى ما يملك بعد التوحيد وبعد النفس أهل بيته وهو الإمام الحسين عليه السلام.

الثمن: الجنة وفيها أنواع عديدة وتكون ثمن مدفوع على مقدار أهمية البضاعة.

البضاعة: نفس الإنسان وأمواله والنفس هي كما أسلفنا أغلى من كل شيء والبضاعة هنا كانت أنفسهم (نفس الإمام ونفوس أصحابه وأهل بيته عليهم السلام).

وثيقة البيع: الكتب السماوية المنزلة (التوراة والإنجيل والقران الكريم).

الربح المتحقق: لحساب الربح المتحقق (Profit) لأي مشروع يكون قيمة البضاعة أو كلفتها مطروحة من القيمة الكلية أو البدل النقدي أو العيني المتحقق أو المستلم (عملية الشراء هنا هي مقايضة عينية وليست نقدية) أي وفق القانون التالي:

الربح المتحقق = القيمة النهائية والإجمالية التي كسبها الإمام عليه السلام - كلفة البضاعة

الربح المتحقق = (الجنة + الخلود في الحياة الدنيا + نيل أعلى درجات الشهادة + الشفاعة + نيل أعلى درجات الرضا من

الله جل جلاله + تحقيق أهداف الإمام في تصحيح مسار الإسلام وأيقاض الأمة من غفلتها + أنتصار الكلمة على السيف + إسقاط الدولة الأموية + استجابة الدعاء تحت قبته + الشفاء بتربته)-(الجنة).

الربح المتحقق = (الخلود في الحياة الدنيا + نيل أعلى درجات الشهادة + الشفاعة + نيل أعلى درجات الرضا من الله جل جلاله + تحقيق أهداف الإمام في تصحيح مسار الإسلام وأيقاض الأمة من غفلتها + أنتصار الكلمة على السيف + إسقاط الدولة الأموية + استجابة الدعاء تحت قبته + الشفاء بتربته)

عمر المشروع: عمر المشروع يبدأ من تاريخ تأسيسه وتاريخ تأسيس هذا المشروع بدأ في يوم ١٠ محرم من سنة ٦١ هجرية وما زال مستمرا حتى هذه اللحظة والى حين الرجعة، وفي معاييرنا الاقتصادية يكون التنبؤ لمستقبل المشاريع غير دقيق وافتقاد تحقيق الدقة في النتائج مؤشر سلبي لذا سنحدد نقطة تاريخ افتراضية وهي يوم ١٠ محرم من عام ١٤٣٠ هجرية لحساب عمر المشروع وكما يأتي:

عمر المشروع = ١٤٣٠هجري - ٦١ هجرية

عمر المشروع = ١٣٦٩ سنة

والشكل رقم (١) يوضح منحنى (Curve) عمر المشروع الأول.

الجدوى الاقتصادية: يعتبر هذا المشروع ذو جدوى اقتصادية عالية جدا وهو قوي بما يكفي ابتداء من عناصر الشراء المتكافئة (البائع والمشتري والثمن والبضاعة) ووجود وثيقة قانونية الهية ملزمة القبول للجميع دون استثناء وهي كتب الله التي تضمن للآخرين حقوقهم فضلا عن الربحية العالية التي فاقت حد التكاليف (Cost) والمتمثلة بـ (الجنة) بأضعاف مضاعفة مع تحقيق فرص استثمارية للعديد من الناس من خلال المشاركة والاستفادة من هذا المشروع ابتداء من عام ٦١ هجري ولغاية الآن، وأخيرا امتاز المشروع بعمر زمني استثنائي ليس له مثيل على مدى التاريخ فمن خلال قراءتي لأدبيات أدارة الإعمال والاقتصاد لم نجد مشروعا اقتصاديا وضعيا دام أكثر من ٣٥٠ سنة بما فيها النظريات الاقتصادية الحديثة والشهيرة في هذه العلوم والتي بدئها (آدم سمث-Adam Smith)، ومن مفارقات هذا المشروع انه لا يخضع لقانون (العرض والطلب) فمهما زاد عرض النفوس والأموال على الله وهو المشتري لتلك البضاعة بقي ثمنها ثابت مع ملاحظة الفارق في تلك النفوس منها زكية تسيدت الجنة ومنها عادية تشرفت بالجنة.

التحليل الاقتصادي للمشروع الثاني:

المشتري: يزيد بن معاوية (لعنه الله) وهو فقير لئيم سيء الخلق أسوء خلق الله مشكوك حتى في نسبه والمتاجرة معه غير مباركة.

البائع: العبد الصالح وهو يبيع من غير طيب نفس لأنه مجبر على البيع نتيجة الضغوط (المنطقية) التي يتعرض لها وهو الإمام الحسين عليه السلام.

الثمن: حقن دماء المسلمين وتحاشي الفتن أولا لان الإمام يفكر بأمور المسلمين أكثر من تفكيره بنفسه وعياله بعدها يفكر الإمام ببقائه حيا مع أهل بيته

وأصحابه لضرورة ملحة وهي حاجة الناس أليه لإرشادهم وتوعيتهم للدين ووجودهم منارة وقبلة يستنار بها.

البضاعة: مبايعة مشروطة أو صلح الإمام الحسين عليه السلام مع يزيد كرها وهي بضاعة رخيصة جدا لان هناك كثيرين مستعدون لبيع بضاعتهم هذه مقابل حفنة دراهم وهي صعبة على البائع وثمينة بالنسبة للمشتري .

وثيقة البيع: وثيقة خطية أو شفوية يحظرها شهود اغلبهم غير ثقاة يشربون الخمر ويصنعون الموبقات.

الربح المتحقق: يمكن حساب الربح المتحقق وفق المعادلة التالية:

الربح المتحقق = القيمة النهائية والإجمالية التي كسبها الإمام عليه السلام - كلفة البضاعة.

الربح المتحقق = (حقن دماء المسلمين وتحاشي الفتن + تحقيق الاستقرار المالي والنفسي والأمني لبني هاشم)-(المبايعة المشروطة أو الصلح + كلفة أضافية وهي تنامي الدولة الأموية وفرض هيمنتها أكثر).

الربح المتحقق = حقن دماء المسلمين وتحاشي الفتن وتحقيق الاستقرار العام لفترة وجيزة جدا بسبب فرض سيطرة الدولة الأموية وتعزيز موقفها ببيعة وصلح الإمام الحسين عليه السلام وسبغ حكومة يزيد (لعنه الله) بسبغة تأييد الإمام ليحكم بعدها سيطرته ويبدأ بتصفية الحسين وأهل بيته عليهم السلام .

ويجب الانتباه إلى نقطة مهمة جداً في موضوع الربحية المتحققة هنا وهو أنه سيقابل هذه الربحية حالة من الهدر للطاقات (Loss) من خلال هدر الطاقات التي يمتلكها أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه لآن كل واحد منهم مشروع استشهادي بذاته وعنوان بطولي ويمتلك مؤهلات الاستشهادية.

عمر المشروع: يبدأ عمر هذا المشروع من تاريخ دخولنا إلى سوق كربلاء عام ٦١ هجرية والتفكير بالمصالحة

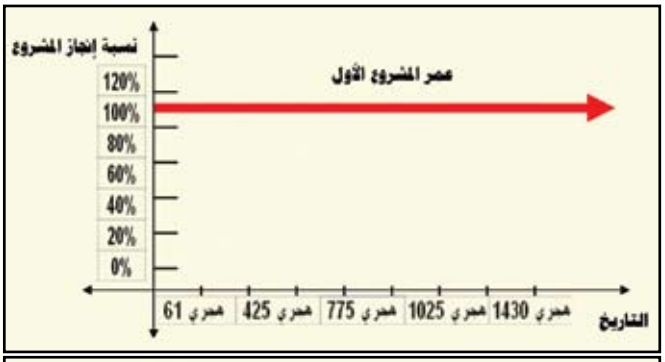

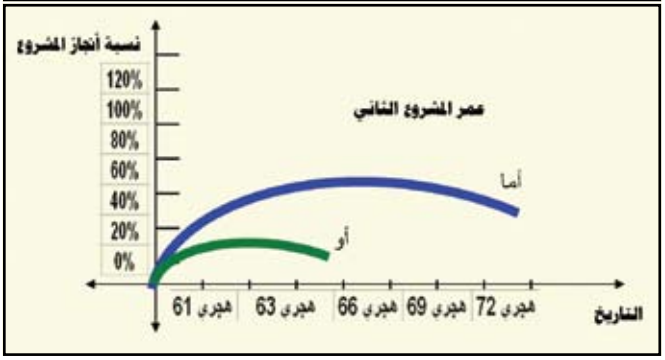

في الأعلى: شكل رقم (١) في الأسفل: شكل رقم (٢)

ونفترض انه سيستمر مع حياة الإمام عليه السلام وينتهي بوفاة الإمام وهذا بعيد جدا لأن أهل البيت عليهم السلام القتل لهم عادة وغايتهم الشهادة والشهادة هي الأرجح أي بمعنى أن المشروع سيكون ذا عمر قصير وليس من السهل تحديد تاريخ متوقع لاستشهاد الإمام في ظل هذه الظروف، والشكل رقم (٢) يوضح منحنى (Curve) عمر المشروع الثاني:

الجدوى الاقتصادية: يعتبر هذا المشروع عديم الجدوى مع عدم تكافؤ عناصر الشراء فيه (البائع والمشتري والبضاعة) وتوثقه وثيقة قانونية وضعية، الطرف الأول فيها من غير الثقاة ومشهور بنكث العهد، وأحد الأسباب المهمة من عدم جدوى المشروع هو تحقيقه لهدر في الطاقات وخسائر أيضا مع الأرباح القليلة وأبرز تلك الخسائر (تقوية دعامات الدولة الأموية وأحكام سيطرتها وبذلك تذهب الجهود المبذولة من أجل الإسلام سدى ويصبح الدين دين آل أبي سفيان) وأخيرا من المتوقع أن يكون عمر المشروع قصير جدا لاقترانه بحياة الإمام عليه السلام وحياته كانت دائما معرضة للخطر.

ملحق تحليلي للمشروعين:

على الرغم من صعوبة اتخاذ القرار أحيانا لاختيار مشروع المصالحة لكن قد يكون الخيار الأفضل فقد سؤل الإمام الحسن عليه السلام عن موقفه في مصالحته معاوية (لعنه الله) فأجاب عليه السلام: (أرى والله معاوية خيرا لي من هؤلاء، يزعمون إنهم شيعة لي، ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، واخذوا مالي، والله لان اخذ من معاوية عهدا أحقن به دمي وامن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي)، وصلح الإمام الحسن عليه السلام كان تمهيدا لمشروع الإمام الحسين عليه السلام من خلال كشف الإمام الحسن عليه السلام لزيف الدولة الأموية برئاسة معاوية (لعنه الله) الذي كان بدهائه يحاول تزيينها بالطابع الديني وهو على مضض حتى جاء الإمام الحسين عليه السلام بمشروعه الاستشهادي ليسلط الضربة النهائية والتي قصمت ظهر الدولة الأموية بثورته.

لابد من فهم حقيقة مهمة في هذا المقال مفادها أن الإمام الحسين عليه السلام حتى وان تصالح مع يزيد سيكون محافظا على مكانته بين أصحابه وبين شيعته و سيحترم كافة الناس قراره كما حصل مع الإمام الحسن عليه السلام في نهاية المطاف حتى أن الله عز وجل لا يؤاخذه على ذلك لكن الإمام الحسين عليه السلام اختار مشروعه، واختار الله مشروعه له لأنه: (شاء الله أن يراه شهيدا) فطوبى لمن كان مشتري بضاعته الله سبحانه، وطوبى لمن كان يشري نفسه ابتغاء مرضاته ■

المصادر:

- القرآن الكريم.
- مثير الأحزان في أحوال الأئمة الاثني عشر للجواهري ١٩١٧ م .
- الإمام الحسين سيد الشهداء موسوعة أعلام الهداية ٢٠٠٢ م.
- الإمام الحسن المجتبى موسوعة أعلام الهداية ٢٠٠٢ م
- تفسير الكشاف للزمخشري.
- محاضرة للشيخ محمد مهدي الاصفي في تفسير الآية ١١١ من سورة التوبة.
- كتاب فتح الباري الجزء السادس لابن حجر.

تاريخية الثورة الحسينية في أبعادها الثلاثة

الشيخ حسن كريم الربيعي •
الكلية الإسلامية الجامعة

جاء الإسلام صورة مكملة لصور متعاقبة تفصل بينهما حقب تاريخية وحضارية سائرة نحو الرقي والكمال بنظرية التدرج الطبيعي للأشياء، وهي متصورة منذ وجود الإنسان الأول على الأرض ثم تدرج النظام التشريعي له ضمن مراحل تكاملية تصاعدية نتيجة للتطورات الزمانية والمكانية، وقد فسرت الحركة التاريخية بعدة تفسيرات فلسفية لا تخلو من مناقشة لو قورنت بالنظرية الإسلامية وهو من المباحث المهمة لتفسير علة الحدث أو جملة التكوينات الحضارية للمجتمعات الإنسانية على مدى تاريخ البشرية من حيث الأسباب والنتائج أما مدى صحة هذه النظريات والرؤى فقد تعلل بعدة عوامل تكون الحضارة صعوداً ونزولاً، ولكن عموما يمكن القول أن حركة التاريخ تسير وفق الأسباب والعلل التي لا يدركها العديد ممن بحث في التاريخ، وبدونهما يكون التعاقب الحضاري فوضوي وغير معلل بعلة قيامه ووجوده، والنظرية الإسلامية تبدأ بحركة إعلائية تعطي التنظيم الدقيق لمسيرة

الإنسان أثناء وجوده على الأرض من باب اللطف الرباني أو ما يسمى حديثاً عند فلاسفة العالم الغربي بالعناية الإلهية كما هو واضح عند فيكو Vico في تفسيره للتاريخ في بعض الأحداث الغامضة.

إن الحركة الإعلائية هي التي ترسم حدود الحدث بتدخل الفرد أو الجماعة وقد يتحقق الهدف وتظهر النتائج سلباً أو إيجاباً ولكنها تحت سلطان الله عز وجل وبعينه لا يغادره شيء لا في الأرض ولا في السماء.

رسم الباري سبحانه الشكل النهائي المتكامل عبر حقب زمنية تاريخية متطورة من عدة صفحات تكاملت بالقانون الإسلامي والشريعة الخاتمة العامة قال تعالى لنبيه: (قل يا أيها الناس أني رسول الله إليكم جميعا)[1]، من هذا الخطاب نفهم أن الرسالة عامة شاملة غير مختصة بأمة دون أخرى، وما سبقه قد يكون صفحة من صفحاته، كما صرح القرآن الكريم في أكثر من مورد حكاية عن الأنبياء عليهم السلام قولهم أنهم من المسلمين أو أن أصل التسمية بالمسلمين أساسها النبي إبراهيم عليه السلام.

بعد التكامل التشريعي على مستوى النظرية والتطبيق الفعلي لبعض تنظيماتها الإدارية والمالية والتنفيذية قد مورست فعلا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنها تحتاج في مجال التطبيق مدة من الزمن كافية لتركيزها في النفوس يقوم بهذا الدور أما

النبي نفسه ﷺ بعد تكامل النظرية أو من ينوب عنه ولا يخالفه فأن أي مخالفة لها هو بعد عن النظرية، وهنا برز دور الأئمة عليهم السلام في مجال تطبيق هذه النظرية والدفاع عنها بكل الوسائل وهي مرحلة خطرة تحتاج إلى تضحية من نوع خاص في مرحلة من مراحل التطبيق وإلا تفقد ديمومتها وتضمحل بعد مدة من الزمان، ولكن بعد خمسين سنة جاءت مرحلة الإصلاح بعدما زادت المخالفات حتى كادت تستفحل فتحرك الإمام الحسين عليه السلام نحو الثورة لكي يحفظ نضارة الإسلام ويحمي النظرية التي بمعنى القانون الإلهي لا الفرضية في العلوم التطبيقية، ولمعرفة أبعاد هذه الثورة الخالدة لابد من النظر في الماضي والحاضر والمستقبل وهي أبعاد مهمة في الحدث التاريخي وبما أن قائد الثورة أمام بالنص فدراستها تحدد وتبين حركة المعصوم من قوله وفعله وتقريره.

البعد الأول (الماضي):

يرى الإمام المعصوم في حركته الحفاظ على الشريعة والكل ينظر إليه باعتباره الامتداد الطبيعي لهذه الرسالة سواء آمن بالإمامة أم لا، وكان الإمام الحسين عليه السلام يدرك أيام جده المصطفى ﷺ مدى المسؤولية وأهميتها بعد غياب النبي ﷺ وهي مسؤولية أدركها يوم أشار إليه بقوله: (حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب حسينا)[٢]، وهو يدرك مدى الجهد المضني الذي بذل في تبليغ رسالة السماء، ومدى المعاناة في طريق إيصالها إلى المجتمع لهدايتهم والتلازم الحاصل بين النبوة والإمامة وهي مرحلة تكاملية أخرى على مستوى التطبيق ضمن مسؤولية التكليف الإلهي للإمام.

لا نكاد نشك بأن الإمام الحسين عليه السلام قد سمع من جده وأبيه سلام الله عليهم تلك الأحاديث التي تبين موضع شهادته والحال التي هو عليها مع قلة الناصر إلا من أعداد قليلة تقف معه حتى الشهادة، كل هذا فيما يبدو ولد العزم والإباء في الموقف المختار سعيا للوصول إلى هذا الهدف المنشود ضد كل أشكال الزيف والتشويه المتعمد لمحو النظرية بالسلوك المخالف لها واعتماد القشرية ذات الإطار الإسلامي بالشكل مع اختفاء المحتوى والمضمون تماما لكل قوانين الإسلام المبنية على دعامتين: العدل والمساواة.

نقلت الكتب الحديثة مصرع الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله ﷺ، وهي أخبار ترسم مستقبل الأمة وتبين مدى الإخلال الذي سيقع من بعده في تنظيماته وتشريعاته والتي قد تذهب بكل جهوده لولا الموقف الذي سيقفه الإمام الحسين عليه السلام، واعتبرت من دلائل نبوته ﷺ، فقد ذكرها ابن سعد (ت٢٣٠هـ) في طبقاته والخوارزمي (ت ق٦هـ) في مقتله والطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في أعلام الورى وغيرها مما لا يحصى هنا وعند جميع المسلمين.

إن الاستعداد النفسي لخوض غمار التضحية برؤية مستقبلية نبوية لخط الرسالة أدراك لخطر المرحلة المقبلة من الانحرافات التي تستهدف محو الرسالة من أساسها لذلك جاءت التضحية على مستوى التخطيط لا تعادلها تضحية وهي القاعدة التي تفرز الفروع المتعددة التي لا تنتهي بمشروعها الرسالي إلى قيام صاحب الأمر عجل الله فرجه.

لقد بين الرسول ﷺ للأمة بسنته القولية والفعلية شهادة ابنه الحسين عليه السلام بأخبار من الوحي عن طريق الحس والمشاهدة فقد رأى الأرض وشم التربة، وعلى هذا لم يكن موقفه من الثورة وليد ساعته أو هو موقف ارتجالي، ولو تتبع الباحث الأحداث التاريخية من بداية الدعوة إلى سنة ٦٠هـ يرى الاجتهادات المخالفة للنصوص بصريح العبارات وهي في توسع خطير في الارتكاز الذهني للجيل الذي لم ير النبي ﷺ ولم يسمع قوله ورأى الأشياء التي أمامه فاعتبرها من الإسلام وهي ليست منه بل دخيلة عليه، ولم يستطع أمير المؤمنين عليه السلام تغيير بعضها وذلك لقصر مدة خلافته وانشغاله بالحروب الداخلية التي أرهقت كاهل الدولة ثم ظهور الانقسامات الاجتماعية داخل الكوفة نفسها وكثرة الغارات التي شنها معاوية على أطراف الدولة حتى وصلت بعض غاراته منطقة عين تمر وهيت والأنبار ونهر دجلة، وهي غارات أشاعت الرعب والخوف بين المسلمين، ولخطورتها دونها العلماء بكتب مستقلة تتناول تاريخها وتفصيلاتها بعنوان الغارات إلا أنها فقدت إلا كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي(ت٢٨٣هـ) وهو مطبوع متداول اليوم.

وفي سنة ٤٠هـ حاول الإمام تجميع قوة كبيرة بعد استنهاض الناس لإيقاف هذه الغارات فينقل الدينوري(ت٢٨٢هـ) والثقفي(ت٢٨٣هـ) في الأخبار الطوال والغارات أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطب عدة خطب منها خطبته في الجهاد، وأمر الحارث الهمداني وحجر بن عدي وسعيد بن قيس ومعقل بن قيس إلى جمع الناس[٣]، وفي رواية الثقفي أنه وجه

فضل تربة كربلاء

* عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «**إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، ويأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها أن كفي وقري فوعزتي وجلالي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به، فقري واستقري وكوني دنياً متواضعاً ذليلاً مهيناً، غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم**».

* عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «**مرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بكربلاء في أناس من أصحابه، فلما مرّ بها اغرورقت عيناه بالبكاء، ثم قال: هذا مناخ ركابهم وهذا ملقى رحالهم، وهنا تهرق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليك تهرق دماء الأحبة**».

كامل الزيارات لابن قولويه ص: ٤٤٩

معقل بن قيس التميمي لحشر الناس من السواد، ولم يرجع حتى سمع بشهادة أمير المؤمنين عليه السلام[٤]، ولما علم معاوية بهذه الاستعدادات عن طريق عيونه في الكوفة أسرع بتدبير مؤامرة الاغتيال بأداة خارجية من داخل الكوفة المليئة بالخوارج.

أن القوة المتنامية في الشام كانت تهدد كيان الدولة وطالما نبه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على خطورتها وتوسعها لمعرفته التامة بدعاتها ففي أحدى خطبه يحذر منها قائلاً: (ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى)[٥]، ولم يستطع الإمام الحسن بعد أبيه عليه السلام إيقاف هذه الفتنة وتجميع قوى الدولة ضدها لأنه أصطدم بقوى داخلية وخارجية متنامية مع ضعف القاعدة وانهزامها أمام الوسائل المتصاعدة المادية والمعنوية المعروضة من القوة الصاعدة وانهيار البناء الاجتماعي بسبب ضعف الإيمان وتفشي روح الانهزامية والأحقاد والولاء القبلي والانقسامات حتى في البيت الواحد وهو ما ساد الكوفة آنذاك.

البعد الثاني (الحاضر):

بعد أن فقدت الكوفة مركزها الريادي وأصبحت تابعة لمركز لا يؤمن بتطبيق النظرية الإسلامية كسلوك عملي وممارسة يومية في إدارة شؤون الدولة بل انتهى دور الخلافة وبدأ دور الملكية الوراثية، وقد صرح مؤسسها قائلا: (أنا أول الملوك)[٦]، وفعلا سعا لذلك بكل قوة على المستوى التطبيقي مع بقاء رسوم وطقوس فارغة المحتوى لإشغال الناس بالأشكال والرسوم لإضفاء صفة الشرعية مع بذل الأموال الكبيرة لتغيير العديد من الأحاديث النبوية لصالح السلطة الحاكمة، فتحولت الدولة من خدمية إلى تسلطية تستحوذ على كل الامتيازات ومنع المعارضين لها من أي امتياز بل قامت بقمعهم وتهجيرهم إلى مناطق أبعد كالتهجير الذي حصل لشيعة العراق وبشكل جماعي إلى خراسان لمنعهم من الثورة على السلطة ثم إشغال الناس بالحروب بحجة الفتوحات ولكن يبدو للمتتبع أنه لجمع الغنائم التي ترسل إلى دمشق وإدراك بعد ذلك الخليفة عمر بن العزيز(٩٩هـ - ١٠١هـ) فأوقف هذه الفتوحات في عهده.

التزم الإمام الحسين عليه السلام بالمعاهدة المعقودة برغم الكتب المرسلة إليه من أهل الكوفة تستنهضه للثورة ربما قبل شهادة الإمام الحسن عليه السلام وبعدها، وكان الإمام عليه السلام يراقب الأحداث عن كثب ويرسم لمسيرته التي يريد بها أصلاح ما فسد عن طريق الشهادة والتضحية وهو يرى أن حركته لابد منها لأنها الدافعة لكل أشكال الانحراف ثم هي نقطة انطلاق للأجيال فيما بعد.

أقول أن تتبع حركة المعصوم بالذات لها الأثر المباشر في فهم الإسلام ونظريته ولاسيما مدخلية ذلك في الاستنباط الفقهي باعتباره سنة معصومية وهي من أهم مصادر الحكم الشرعي.

أن الناظر في الأحداث قبل الثورة يجزم أن الإمام الحسين عليه السلام يستعد لأمر هام يبقى أثره ولا ينسى ذكره يركز في نفوس الأمة التضحية من أجل المبادئ بكل غال ونفيس.

بدر قد عجل عليه الخسوف
وهو منير الى الآن..
وعين حربت المنام ....
قد أُطفئت وهي منبهرة
وقلبٌ احترقه المثلث...
وهو يسع لحمل الأنام ...
الى ما شاء الله
والراية تبقى بهمدية الى الأبد
تقدي برايات الثوار..
في شتى بقاع الأرض؟

أن مراحل التغيير في المشروع الأموي لنسف القانون الإسلامي واجه صلابة حسينية غيرت كل التوقعات بل زلزلت البيت الأموي نفسه فيما بعد وهو ما توقعه الإمام عليه السلام قبل شهادته.

ركز الإمام عليه السلام على الاتصال بقيم العقيدة وبين مسلك الهدى ومسلك الضلالة في أثناء مسيرته وذكر نهاية كل مسلك وهو يوضح للناس أسباب ثورته على الحكم الأموي وان طريق الهدى لا يجتمع مع الضلالة وهي تأكيدات يريد تركيزها في ضمير الأمة حتى تعلن الثورة على الضلالة يوم تجد أن الثورة تحقق أهدافها ولو بعد حين.

أن الثورة الحسينية حققت أهدافها من أول انطلاقة لها من المدينة المنورة بلا خوف ولا وجل ورغم التحذيرات من كل الأطراف، سارت وبإصرار نحو هدفها المنشود لترسم معاني الإسلام والقيم الخالدة له في كل حركة وسلوك ولم تقبل من تابعيها أي مخالفة في الحرب والسلم فاحتفظت بتلك المبادئ التي سطرها الرسول صلى الله عليه وآله على مستوى العبادة أو المعاملة وهو الالتزام الشرعي الذي أراد بيانه من ثورته للأمة بل أوصى به لأهل بيته من بعده، وهذا الالتزام هو حصيلة المرجوة التي تقصم ظهر الظلم وأعوانه وهو تعبير عن صلة الإنسان بربه وخالقه ولابد من تطبيق أحكامه لنيل طريق الهدى الذي سلكه الإمام الحسين عليه السلام.

البعد الثالث (الرؤية المستقبلية):

فكرة المستقبل والتقدم فكرة أصيلة في الفكر الإسلامي ومنها نجد أن الثورة قد انطلقت مستوعبة للزمان والمكان، فمن نتائجها للمعاصرين لها قوله عليه السلام: (أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس حتى يدور بكم دور الرحى ويقلق بكم قلق المحور)[٧]، وقال عليه السلام لقائد الجيش عمر بن سعد: (لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة)[٨].

قد تحقق ما قاله على ارض الواقع ببيان الحركة الدائرية للتاريخ والمسارات الدائرة حول المركز وإخباره بحقيقة الحركة التاريخية لهؤلاء الناس ثم أعطى موعظة لحركة الإنسان في حياته الدنيوية إذا تجرد عن دينه عندما صاح بالقوم في لحظاته الأخيرة لما هجموا على مخيمه: (ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان أن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم...)[٩]، ثم أوضح لهم أن مصيرهم الخسران تلك سنن الله في خلقه بعد الاستهانة بعباد الله الصالحين بإلقاء البأس بينهم[١٠].

تمثلت الرؤية المستقبلية بكتابه المرسل إلى محمد بن الحنفية وبني هاشم، فقد تضمن عبارة مهمة جداً وهي الفتح ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(من الحسين بن علي إلى محمد بن الحنفية ومن قبله من بني هاشم، أما بعد: فأن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام)، ويبدو أن هذه الرسالة كتبها الإمام الحسين عليه السلام بعد خروجه من مكة[١١]، اختلف العلماء في تفسير لفظة الفتح الواردة في الرسالة، فقد فسرها المجلسي كما ينقل عنه في تعليقه على هذه الرسالة بعد إيرادها بفتوح الدنيا والتمتع بها[١٢]، ويبدو أن هذا المعنى غير مراد من كلامه عليه السلام لأنه

كان عارفا بشهادته.

وفسره الشيخ باقر شريف القرشي بالانتصار الذي حققه الإمام الحسين عليه السلام وبه أصبح من رموز الإنسانية في كل زمان ومكان[١٣]، ويبدو أن هذا المعنى أيضاً غير مراد لأنه لا يريد بناء مجد له فهو غير محتاج لمثل هذا المجد.

ورأي أخر يبين أن المراد بالفتح التحولات والتغيرات الحاسمة لصالح الإسلام اثر شهادته في عصره وما بعده من العصور إلى قيام الحجة المنتظر عجل الله فرجه[١٤]، ولكن يمكن القول أن الفتح دنيوي وأخروي للمشتركين في المعركة فقد نالوا السعادتين وكتبوا بماء الذهب ووقف الجميع إجلالاً لهم على مر العصور، أم الأجيال اللاحقة فهم في فتح ما داموا مع أهداف الإمام الحسين عليه السلام في التمسك بدينهم وعقيدتهم إلى الرمق الأخير من حياتهم، وهذا المعنى بينه الإمام زين العابدين عليه السلام لإبراهيم بن طلحة بن عبيد الله لما رجع للمدينة عندما سأله عن الغالب فأجابه: (إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب)[١٥]، وربما يكون المعنى أعمق من ذلك لرؤية مستقبلية لمسيرة الإسلام في العالم.

وردت كلمة الفتح في القرآن الكريم في اثني عشر موردا[١٦]، ولا يمكن في هذا البحث المتواضع استعراض جميع الآيات وبيان معانيها، ولكن يمكن القول أن جامعها انتشار الإسلام بهذا الفتح كنصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١٧] وهي إشارات مستقبلية بصبغة الثورات بثورته التي لا تنطفئ أبداً، فقد توالت الثورات تدعو للرجوع إلى مبادئ الإسلام الحقة فبدأت بثورة المدينة المنورة، حتى دخلت البيت الأموي نفسه ونهاية الفرع السفياني وتخلل حكم بني أمية وبيعة الأمصار لابن الزبير وثورة التوابين وحركة المختار... إلى سقوط بني أمية سنة ١٣٢هـ وغيرها العديد من الثورات التي حملت أسم الثورة الحسينية.

لقد ركز الأئمة عليهم السلام بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام على مفاهيمها وأبعادها وشجعوا العلماء والأدباء على تناول أهداف هذه الثورة وبيان مضامينها العظيمة لكل الناس، وقد تحقق للإمام الحسين عليه السلام ما أراده من نهضته المباركة ببقاء مبادئ الإسلام العظيمة رغم كل المحاولات الرامية لمحوه من الوجود ■

---

(١) الأعراف /١٥٨.
(٢) أبن سعد، الطبقات، تحق: عبد العزيز الطباطبائي، ص٢٧.
(٣) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحق: عبد المنعم عامر، ص٢١٢.
(٤) الغارات، ص٣٣٢.
(٥) نهج البلاغة، شرح: صبحي الصالح، ص١٧٤.
(٦) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص١٦٢.
(٧) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام، ج١، ص٢٢١.
(٨) ابن طاووس، الملهوف، ص١٥٧.
(٩) الخوارزمي، المقتل، ج٢، ص٨.
(١٠) المصدر نفسه، ج٢،ص٣٢.
(١١) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤.
(١٢) الطبسي، الإمام الحسين عليه السلام في مكة، ج٢، ص٦٢.
(١٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٢.
(١٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٢.
(١٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٣.
(١٦) النساء/١٤١، المائدة/٥٢، الأنفال/١٩، السجدة/٢٨، الفتح/١، ١٨، ٢٧وغيرها ممن ورد لفظ الفتح فيها.
(١٧) الطبسي، الإمام الحسين عليه السلام، ج٢، ٦٥.

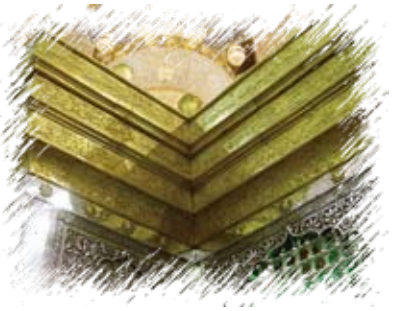

نهضة الإمام الحسين عليه السلام في فكر الباندیت ویاس دیومسرا

حسين جهاد الحساني •
مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي
مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة

ينابيع

الكاتب الذي يحمل قلم الحقيقة، ويدافع عنها يجب أن يبقى في أطراف يراعه دائماً مداداً يكتب فيه أنى شاء، وحيثما وجد كتابة تفيد القارئ، وتنفع المجتمع وتوجه الناس وترشدهم إلى مواطن الخير والمعرفة والحق.

لذا فقد بقيت كثيراً من الكتب النادرة مطبوعة كانت أو مخطوطة متناثرة هنا وهناك وأخرى مخزونة في خزانات حديدية لا يصلها حتى الهواء وثالثة ظلمها الأعلام إذ لم يتوجه أو يوجه إليها بصره بصورة صحيحة فبقيت حبيسة لهذه الأمور الثلاثة لا ناصر لها ولا معين.

ومن بين تلك الكتب النادرة كتيب صغير لا تتجاوز صفحاته الخمسة عشر، أصله مقالة صغيرة نشرت في مجلة المنتظر (اللاهورية) في عددها الصادر عام ١٩٦٢م للقانوني الكبير (الباندیت ویاس دیومسرا) والذي عرف بمقالاته الواعية العميقة، ولكن

مع شديد الأسف لم يحالفني الحظ في أن أضع الخطوط الأولى عن ترجمته، وذلك بسبب ظلم التاريخ لهذا الرجل عامة والمهتمين في القلم الحسيني خاصة، الذين كتبوا الموسوعات تلو الأخرى، فكان النسيان نصيب هذا الرجل الواعي بفكره الرصين.

يسطر الباندیت في هذه الوريقات عن نهضة الحسين وثورته بمصداقية عالية تبعث لقارئها الأمل بأن التاريخ يتكلم بحق، وعليه فقد أحببت أن أعرض هذا الموجز من الكتاب لكي نستلهم منه عظمة وروحية الإمام الحسين عليه السلام عند كل المذاهب والديانات على مر العصور.

مع الكتاب:

ابتدأ المؤلف في مقدمته النتيجة التي آلت إليها ثورة الحسين عليه السلام إذ استوحى منها الآفاق والأبعاد، وما حققه الإمام من نصر توج من خلاله رجل الإنسانية والحياة من بين كل الثوار ممن سبقه ومن يلحقه، إذ يقول:- (الحسين آفاق وأبعاد...وليس ثائر...فما أكثر الأبطال والثوار، وأقل الأبعاد والأفاق!! وأما الحسين ذاك، فهو نصير الإنسان، ورجل الحياة..فله راية تخفق، أينما وجد الإنسان، وله منبر يسبح كلما انفضت الحياة).

ثم أردف مقالة بكلمات قلما تجدها في قلم الفكر الحسيني، إذ جعل من الحسين عليه السلام إلهاً - وتعالى الله أن يكون له شريك - مستوحياً هذه النظرة من بيئته الهندية تلك صورة جميلة ليعبر عنه بـ(إله العاطفة) إذ ساوم على القلوب والدموع.

إذ يقول:

(وتعالى الله أن يكون له شريك؛ وإلا كان الحسين إليه العاطفة الذي ساوم على القلوب والدموع، فلم يترك لغيره إلا الزوايا والثمالات. ولم يتبوأ الإمام الثائر مقامه المكين في الضمائر، إلا بجدارة واستحقاق، فلقد كان نقطة تحول في مسيرة الإنسان الصاعد، لأن توقيت رسالته كان في ساعة الصفر، وعلى حين فترة ألح فيها الظلام وتوارت النجوم).

ثم استعرض الباندیت مسيرة الإمام الحسين عليه السلام، موضحاً بذلك اللبنة الأولى لثورته معلناً عنها منذ اللحظة الأولى من بيعته عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، كاشفاً بذلك نقطة التحول الأولى ألا وهي دولة معاوية التي أسسها على العنف والإرهاب والفساد وتمزيق وحدة المسلمين، فركز بذلك حكومة أصحابها من عباد الحكام واللصوص والسفاكين وأصحاب المجون والخلاعة، فكانت انطلاقة الحسين عليه السلام منذ قاد معاوية حملته عبر عشرين عاماً إذ يقول بذلك: (منذ بيعة الإمام الحسين عليه السلام حيث فسحت المجالات الرحيبة، للنشاط الأموي المسعور، الذي قاد حملته معاوية عبر عشرين عاماً مهادناً لم تلمع فيها بارقة - لإرباك المفاهيم، وتصفية القيم الإسلامية، وكبح الإنسان في ذات المسلم.

ونجحت خططه الجهنمية بالعنف والإرهاب... وكان من مهزلة الاستهتار الفكري أن يتربع على قمة الإنسان، وعرش المسلمين، عدو الإنسانية والإسلام الأول. ثم يباركه الناس، ويخلصون له حر الولاء وتعقد بيعة عشرات الملايين، ويقرر مصير الشعوب، في قبضة أقذر من خلقه الله.

وانتهى الدور.. بتمزيق توحيد الكلمة، ونسف كلمة التوحيد وتهريب المسلمين جملة واحدة عن دينهم السماوي العتيد، وبعث الجاهلية الأولى، بتطوير بسيط يواكب تطور الظروف، ولكنه لم يزلزل أي واحد من مقوماتها الرئيسية، وهو يتلخص في الخطوط العريضة:

١- تطوير عبادة الأصنام إلى عبادة الحكام.

٢- تطوير كافة الجرائم والخلاعات، عن صيغتها الوحشية المنكرة إلى بزة الحضارات ثم تلخيصها في قصور الحكام؛

٣- تطوير اللصوص والسفاكين - الفرادى والجماعات - إلى منظمة قوية واسعة في قبضتها جميع الأموال وجميع الأسلحة - هي الحكومة - التي يرأسها هو (معاوية) متستراً باسم (خلافة المسلمين) كي لا تخفى عليه خطرات البقة في الهواء، ويتاح له مصادرة الأموال وإزهاق الأرواح، بعدد ما يشهق ويلفظ من أنفاس).

ثم يخرج الباندیت من مهزلة معاوية وحكمه، ليدخل في طوفان آخر ومهزلة تكشف عن مدى خستها وانجرافها نحو الاستبداد وخشوع الرقاب، وتلك هي مرحلة حكم يزيد. إذ يقول:

(وبلغ الطوفان أقصى مداه، وتكشف مهزلة الحياة عن نبوغ في الجريمة، يوم هلك معاوية وراحت الأقدار تبحث في قراءة المستنقعات وبؤرات العمر، التي تسللت عن الجاهلية واقتحمت الإسلام لتكشر عن أحقادها النقيعة في يوم انفلات، فالتقطت الزائدة الآدمية، التي كانت نتيجة تفاعل الأرحام العاهرة والأصلاب الكافرة فكان يزيد!! الذي انتصب على العرش ليكون خليفة الله في الأرض فيمثل كل ما في العالم من شذوذ وتطرف في بزة الإسلام...ويهزل الزمان.

ويستبد الخنوع بالمسلمين، إلى حيث تخشع له الرقاب، ليحكم فيها نير الاستعباد أو السيف أن شاء...).

ثم وصل الباندیت إلى سلم النهاية ليكشف عن المسؤولية الحقيقية للحسين عليه السلام للنهوض لتحرير الرقاب والمفاهيم التي عبثت بها الأهواء، فكانت نهضته عليه السلام مصممة جارفة، وثبة مظلوم على ظالم، وانتفاضة النور على الظلام، إذ يقول:

(فكان على الحسين عليه السلام - وهو المسؤول الأول عن الأمة -:أن ينهض لتحرير المفاهيم والمقدسات التي عبثت بها الأهواء والنزوات فإذا هي حقيقة حائرة ينحت منها المستغلون أداة ترف ومجون.

وبالتالي كان على الحسين أن يشنها ثورة قاسية تكسح يزيد وحكومته والعائلة الأموية وتنقض بعدها على الرأي الإسلامي الموؤد انقضاض الصاعقة على الهشيم، وجاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مصممة جارفة. ولها أضواء وأصوات ونار ودخان لا يذكرها تاريخ الثورات وتاريخ النار والدخان.

ولم تكن ثورته وثبة مظلوم على ظالم، ولا تمرد فئة على فئة، وإنما ثورة الفضيلة على الرذيلة، وانتفاضة النور على الظلام فرغم إنها كانت موضوعية لم تستهلك إلا أثنين وسبعين رجلاً إلا أنها كانت وأصبحت عالمية حية تعطر الأفق حتى اليوم وبعد ألف قرن من الزمان، ذاك أن المبادئ التي دافع عنها الإمام لم تكن مبادئ يوم أو منافع فرد، وأن الإمام الخالد، لم يكن بطلاً محدوداً مكبلاً بالأفكار الضيقة، التي تميز الإنسان عن الإنسان، وتحرم الحياة على هذا لتوفرها على ذاك، فيكون محتكراً على فئة، أو مقفلاً عن طائفة، بل بركاناً يصهر الحدود والقيود والحواجز في صدره الرحيب ويبيح للعقل والعلم والضمير: أن ينطلق بماله من توسع وامتداد).

فمن الطبيعي عزيزي القارئ بعد هذا العرض: أن تكون ثورة الحسين عليه السلام ملتقى المذاهب والأديان والاتجاهات المتناحرة، في قاعة يهدر من منبرها صوت الحسين عليه السلام وإن أنطلق من حنجرة مسلم وأن يرهف المسلمون مشاعرهم بصوت (هندوكي) - يحمل اسم الحسين عليه السلام من وراء المسافات - فذكرى الحسين عليه السلام كنفسه ثورة عارمة تنزف الفوارق والمميزات فإذا الإنسان أخو الإنسان، أن شاء في الدين وإلا ففي الخلق ■

فلسفة النهضة الحسينية

م. م. ثائر عباس النصراوي ●
كلية الشيخ الطوسي الجامعة

ينابيع

عندما دعى الإمام الحسن عليه السلام الناس إلى محاربة معاوية بن أبي سفيان قد استجابوا له، ولكنهم بعد ذلك تخاذلوا وخانوا ولم يتمسكوا بولاية الإمام خصوصاً قواد الجيش الذين ألتحق أغلبهم بجيش معاوية، فأدى هذا بالإمام الحسن عليه السلام إلى عقد معاهدة وصلح مع معاوية على أن يكون معاوية هو الخليفة وبعد مماته يتولى الإمام الحسن عليه السلام الخلافة، أما أذا مات الإمام الحسن عليه السلام فيكون الإمام الحسين عليه السلام هو الخليفة بعد معاوية.

ولكن معاوية قد نقض العهد فقتل الإمام الحسن عليه السلام ثم أخذ البيعة لولده (يزيد)، وعندما هلك معاوية طلب يزيد من الحسين عليه السلام أن يبايعه ولكن الإمام رفض ذلك وقال: إن مثلي لا يبايع مثل يزيد. ولكنه عليه السلام رغم ذلك لم يفكر بالنهضة والثورة بسبب تجربة أخيه الحسن عليه السلام وخيانة الناس له، فتأنى الإمام في قراره للثورة هذا من جانب، ومن جانب آخر لم يكن للإمام الحسين عليه السلام الأعوان الذين يمكن أن يقوم بهم فلم تكن الثورة والنهضة آنذاك واجبة عليه.

وبعد ذلك جاءت الخطابات والرسائل من الشيعة والموالين في الكوفة تدعوا الإمام عليه السلام إلى القدوم حتى يبايعوه بالولاية فكان هذا عامل مهم للقيام بالثورة

والنهضة فضلاً عن انتشار أخبار يزيد الفاسق وانتشار ظلمه للعباد واستهتاره بأعراض الناس وحرماتهم وانتهاكه لحرمة الإسلام بشكل عام.

كل هذه العوامل وغيرها قد أوجبت النهضة على الإمام الحسين عليه السلام وأنه عليه السلام لو بايع يزيد ولم يقم بالثورة لألقيت الحجة عليه من قبل الذين راسلوه وبايعوه، إضافة إلى ما سوف تجره هذه البيعة من خذلان واستكانة وذل على الإمام وأصحابه وعلى الأمة الإسلامية ولن يستكفي يزيد بذلك بل سيطلب المزيد من الإمام فينفذ الإمام وهكذا إلى أن يتم السيطرة لنبي أمية بدون منازع.

ومن كل هذا نستشف أن قيام الثورة والنهضة الحسينية لأسباب عديدة يمكن إجمالها بالآتي:

١ـ المطالبة بحقه على اعتبار أنه هو الإمام الشرعي ووريث النبوة والخلافة الحقة، وكذلك المطالبة بحقه بحسب المعاهدة التي تمت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية.

٢ـ دعوة الناس له عليه السلام للقيام وخصوصاً أهل الكوفة والقدوم لهم ومطالبتهم بأن يكون هو الإمام والخليفة عليهم، وهذا الأمر على خلاف ما كان موجوداً في زمن الإمام الحسن عليه السلام، إذ أن الحسن عليه السلام كان يأمر الناس للقيام ومحاربة معاوية كونهم قد بايعوه بالخلافة بعد أمير المؤمنين علي عليه السلام ولكنهم تخاذلوا، أمام الإمام الحسين عليه السلام فالناس هم الذين دعوه إلى النهضة والقيام بالأمر، فقام الإمام الحسين عليه السلام بواجبه الشرعي ولكنهم بعد ذلك خانوه وتخاذلوا مرة أخرى خصوصاً أهل الكوفة، لكن هذا الموقف لم يعم الجميع بل كان هناك عدد من الصحابة المخلصين كانوا على استعداد للموت، فهؤلاء كانوا كورقة ضغط توجب على

الحسين عليه السلام القيام بواجبه الشرعي وهو القيام بالثورة والنهضة.

٣- فسق يزيد وأعوانه ومجاهرتهم بالفجور والمجون واللهو واللعب وسفك الدم وهتك العرض بحيث أن الإمام الحسين عليه السلام قد خاف على الإسلام وعلى الأمة أن تعود إلى الجاهلية الأولى وهي جاهلية قريش قبل الإسلام، إذ وردت رواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام مفادها:

أن رجل قد سأل الإمام زين العابدين عليه السلام ما الفائدة من تضحية أبيك الحسين عليه السلام، وفي هذه الأثناء كان المؤذن يؤذن لصلاة الظهر، فقال الإمام عليه السلام لولا ثورة أبي الحسين ما سمعت هذا النداء، ويقصد الأذان. بمعنى لولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام لأنتهى الإسلام المحمدي أو الدين الإسلامي الصحيح، ولأصبحنا مثل اليهود والنصارى أصحاب شرائع محرفة ولأصبح الإسلام مثلما يريد الحكام الأمويين. فضلا عن أن الإمام الحسين عليه السلام قد عرى بني أمية وعرف الناس مدى استهتارهم بالدين الذي كانوا يتسترون به، إذ أنهم قد قتلوا أبن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فالحسين عليه السلام قد ضحى بنفسه لكشف بني أمية وهذه تعد من أهم نتائج الثورة الحسينية هذا أولاً. أما ثانياً فهو أيقاظ الذهنية الإسلامية إلى مدى الخطر الذي يحيط بالأمة الإسلامية إذا هم تخاذلوا ورضخوا إلى حكم بني أمية، إذ أصبح بإمكان الحكام بعد هذا الخذلان من قبل الأمة أن يستبيحوا أي حرمة للأمة سواء حرمة النفس أو الدين أو العرض...الخ أو أي شيء آخر وهذا ما يمكن ملاحظته حينما انتهكوا حرمة بيت الله الحرام واستباحوها من قبل جيش يزيد ثم ضربوها وأحرقوها في زمن الحجاج. كذلك أن الأمام الحسين عليه السلام قد فتح باباً جديداً يمثل معنى الثورة ضد الظلم وضد الظالمين، إذ يلاحظ أن الثورات بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد تلاحقت ضد بني أمية ومنها ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي وثورة زيد بن علي بن الحسين. وغيرها من الثورات الأخرى، فكانت هذه الثورات بداية صحوة الأمة الإسلامية لحقوقها المستلبة من قبل السلطة الحاكمة آنذاك. فضلاً عن أن الإمام الحسين عليه السلام قد زعزع نظام الحكم الأموي وفتح باباً للسؤال لماذا قام الحسين بثورته مع علمه عليه السلام بأنه سوف يخسر من الناحية العسكرية وأنه يعلم بأنه غير مجهز بالعدد والعدة اللازمة لمواجهة الحكام وسلطتهم فهو بذلك فتح الأذهان للسؤال عن مدى أحقية يزيد بالسلطة بل مدى أحقية بني أمية بالسلطان والخلافة فتكونت نتيجة لثورة الإمام الحسين عليه السلام ردة فعل ضد الحكام وهذا هو معنى زعزعة السلطان عن حكمهُ.

أي أصبحت هناك حالة من الوعي السياسي والفكري لدى العامة. فضلاً عن كشف حقيقة يزيد الذي يمثل الحكم الجائر والحكم الفاسد وهو رجل شارب للخمر سافك للدماء حسب تعبير الإمام الحسين عليه السلام، لذلك نلاحظ أن حكم بني أمية لم يستقر بعد حادثة كربلاء ولم يدم طويلا. إذ أتسم حكمهم بالثورات والانتفاضات والاضطرابات السياسية والاجتماعية التي أقضت مضجع السلطان الأموي. وبدأ الناس ينفرون من حكم بني أمية الظالم لهم.

أمـا أهـم نتائج هذه الثـورة فهي دعوة الناس إلى الإسلام عن طريق هذه الثورة، إذ هنـاك العديد مـن المفكرين والعلماء فضـلاً عـن النـاس العاديين قد سـمعوا وعرفوا المأساة الحسينية ومدى بشاعتها، وعلى ذلك اعتنقوا الدين الإسلامي بعد أن اهتزوا من أعماقهم لموقف الحسـين عليه السلام أو هنـاك مـن تأثر بطريقة الحسـين عليه السلام الجهاديـة وأسـتثمرها وسـار فـي تحقيق اسـتقلال شـعبه وأبنـاء وطنه مثلمـا فعل (غانـدي) محرر الهند من أكبر اسـتعمار شـهده العصـر الحديـث وهو الاسـتعمار البريطانـي للهنـد إذ يقـول (تعلمـت مـن الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر).

وقد بنيت الثورة الحسـينية على أمور عديدة أهمها:

١ـ تعرية الحكم الأموي من خلال إيضاح صورته للعالم الإسـلامي قديمـاً وحديثاً.

٢ـ محاولة تعليـم الناس كيف يمكن للدم أن ينتصر على السيف وقوته.

٣ـ إعـادة النـاس للمسـيرة الصحيحـة للدين الإسـلامي من خلال الانتصار على الظالمين وعدم الركون لهم لقوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا)(هود:١١٣) وهذا أهم مبدأ للانتصار على الظالمين في كل عصر وهو التمسـك بالدين الصحيح ومبادئـه حتى يحقق النصـر والظهور على الظالميـن ومصداقاً لقولـه تعالى (ليظهره على الدين كله ولو كره المشـركون) (التوبة:٣٣).

٤ـ وهـذه العـزة ضد الظالميـن وعدم الاسـتكانة لهم لأن لهذا الرضوخ مساوئً عديدة أهمها سـلب كرامة الإنسان، فلو بايع الإمام الحسـين عليه السلام يزيداً وتم ليزيد ما يريد فهل سـيكتفي بهـذا؟ كلا، بل سـوف تتبعه أمور أخرى تسـلب الحسين وشـيعته ومواليه كرامتهـم وعزتهم التي عرفوا بها.

٥ـ التأكيد على مبدأ التضحية بالنفس والنفيس من أجل المبدأ الأسـمى إلا وهو الإسلام ومبادئه السامية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لذلك فثورة الإمام الحسين عليه السلام هي امتداد طبيعي لرسـالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى الوقوف مع الحق ولو أدى إلى هلاك النفس. إذ يلاحظ أن نصف قرن من الزمان بعد الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم كانـت كافيـة للعودة إلـى الجاهليـة ولكـن جاء الحسـين عليه السلام فضحـى بدمه لكي يبقى الإسـلام ناصعاً مـدى الدهور وتبقى تعاليم الإسـلام ثابتة على مدى الزمان.

٦ـ التأكيد على مبدأ الدعوة للإسلام ولكـن بصورة جديدة لم يشـهدها العالم من قبـل وهـي (الهـزة الفكريـة للعالم) بحيـث أن مقتـل الإمام الحسـين عليه السلام قد هـز العالم آنـذاك هزة فكريـة وعاطفية ونفسـية عنيفة فجعل النـاس آنذاك ولحد الآن يتساءلون ما سبب هذه التضحية، لابد وأنها تضحية من أجل شـيء أسـمى وأثمن إلا وهـو الإسـلام ودينه الحنيـف فأصبح الحسـين عليه السلام مصداق للإسلام المحمدي الـذي يجب على كل مؤمن أتباعه واقتفاء أثـره ضـد الظالمين، فالحسـين عليه السلام أذن دعى إلى الإسلام الحق بدمه الشريف.

٧ـ هـذه الهـزة الفكريـة جـاءت في زمانهـا ومكانهـا الصحيـح، فبالنسـبة للزمـان فأننا نجد أن حـكام بني أمية قد عاثوا بالأرض فساداً محاولين أبعاد الناس عن جادة الصواب وذلك من خلال سـفك الـدم وانتهـاك الحرمات حتـى وصل بهم الأمـر إلـى تغييـر تفكير النـاس وجعله

باتجاه واحد وهو أن الدين محفوظ لدى حكام بني أمية. وهو الممثلون الشرعيون لهذا الدين وتصوير أهل البيت عليهم السلام بأنهم مهدموا الإسلام لذلك سنوا سنة سب الإمام علي عليه السلام على المنابر وأستمر هذا الأمر أربعين سنة.

أما المكان فكان في العراق، والمعروف أن أهل العراق هم أكثر الناس جدلاً وخصاماً فأي حادث يحدث لديهم فأنهم سوف يبقون وعلى مدى العصور يتكلمون ويتحدثون عن هذا الأمر فيبقى الأمر فيهم خالداً ما بقي الزمان، لهذا السبب اختار الإمام الحسين عليه السلام العراق مكاناً لنهضته وكان الاختيار بتسديد رباني. وأنه عليه السلام لم يختر مثلاً أرض الحجاز لأنها حسب تعبير الإمام بأنه لا يوجد عشرة أشخاص يحبون أهل البيت عليهم السلام وذلك بسبب أنهم أولاد علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قتل أبطال العرب وصناديد قريش.

ولم يختر عليه السلام الشام مثلا لأنها مُطبقة عقلياً ونفسياً لبني أمية ولا مجال لأحد فيها. وكذلك فأنه لم يختر اليمن أو مصر أو غيرها من الأمصار الأخرى، وذلك لبعد هذه البلدان وعدم وجود وسائل اتصال سريعة معها بحيث يصل خبر الإمام عليه السلام إلى العالم الإسلامي بالسرعة المطلوبة.

٨- وأخيراً اعتماد الإمام الحسين عليه السلام على التأثير حتى على أعدائه، وذلك عندما رفع الطفل عبد الله الرضيع وطلب الماء من القوم، فحدث نتيجة لذلك نزاع بينهم، إلى أن قال عمر بن سعد (يا حرملة اقطع نزاع القوم) فقتل اللعين الطفل بأبشع صورة.

وبهذا نصل إلى نهاية المطاف التي حاولنا خلالها الإتيان بأهم نتائج وأسباب النهضة الحسينية الخالدة، عسى أن نكون قد وفقنا في هذا المجال ■

كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت على مصاب الحسين

الإمام الحسين عليه السلام
من الشهادة إلى الخلود

د. محمد إسماعيل •
كلية التربية/ جامعة بابل

بداية

إن لقضية الحسين عليه السلام في الشرع المقدس الأثر البالغ والأهمية التي لا يرقى لأهميتها شيء سوى مسألة التوحيد لكونها جزءاً لا يتجزأ من مسألة الإمامة وما يتفرع منها من أمور، وهذه القضية لها بداية ولها امتداد على مر العصور، ولها تفرعات جليلة نذكر بعضاً منها في هذا البحث.

الإمام الحسين عليه السلام من هو؟:

هو الإمام الهمام الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف[1]، وأمه فاطمة الزهراء بنت المصطفى محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين، يعد الإمام الحسين الابن الثاني الريحانة[2] للرسول الأكرم لقوله صلى الله عليه وآله: (لكل نبي عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم، وهم عترتي)[3].

وهذا النسب الشريف للإمام الحسين جعله يكون الابن الشريف لثلاثة ما خلق الله سبحانه في الأرض أعظم منهم ولا أشرف ولا أكرم ولا أعز. فهو سليل الهداة الميامين ونجيب السادة الأتقياء وحسيب البيت النبوي الشريف وكريم البيت العلوي المطهر. وهو في ذلك

ذو حضوة في التربية والاختيار والتعلم والتصرف والكرم والشجاعة والإيمان والعبادة والعفة والإجادة في كل أمر دنيوي وأخروي وهو بذلك صاحب المكان الباسق الذي لا يرقى إليه أحد، وصاحب الذروة العالية التي لا يصل إليها متجريء مغامر ولو نهك نفسه وجهد حاله وطلب المحال لأمور كثيرة جاء النسب في أعلاهن وأوّلهن ثم باقي الأسباب التي تجعل للإمام الحسين المزيات العاليات والفضائل الشريفات ذكرنا الآن النسب وسنذكر غيره في ما بعد.

الإمام الحسين عليه السلام عند الله سبحانه:

خلق الله سبحانه الخلق وجعله منقسماً على قسمين حسب اعتقاد الناس في الله سبحانه وطاعتهم له فكان القسم الأول قسم المعتقدين الخير في الله المطيعين له المنفذين لأوامره المبتعدين عن نواهيه وهو القسم الخير. وكان القسم الثاني قسم الظانّين بالله ظن السوء المنكرين له ولأوامره العاملين بغير ما أمر (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)[٤] ثم إن الله سبحانه اختار من الخيرين - وهم من القسم الأول - رجالاً اختارهم من أفاضل هذا القسم فجعلهم أنبياء وأئمة، يهدون بأمره ويبلغون الناس عنه سبحانه، وهم أشرف الناس واتقاهم وأحاسنهم. فأصبح الناس على ذلك ثلاثة (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً)[٥]، فكان نصيب الأئمة الأطهار أن يكونوا من أفاضل الناس الخيرين اختارهم الله سبحانه ليكونوا رسل خير للعباد وعلماء الصلاح في البلاد. وكان للإمام الحسين في ذلك الفضل العميم فإنه وارث الخمسة أصحاب الكساء وهو المورث الأوحد لبقية الأئمة العلم والحكم ولا طريق لذلك سواه.

الإمام الحسين عليه السلام عند المسلمين:

دأب المسلمون بجميع أطيافهم ومذاهبهم وعلى تنوع مشاربهم على احترام الحسين عليه السلام وعلى تقديس ساحته كونه ابن الرسول المصطفى لابنته البتول وكونه ابن الإمام الخليفة الهمام علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة الزهراء عليها السلام فهو أحد أولاد النبوة الكرام والمؤمنين المشهود لهم بالفضل والإيمان وحسن السريرة وتمام السيرة. وقد كان للمسلمين أيضاً اعتقادات جليلة في الإمام الحسين بوصفه أحد المكرمين من الله سبحانه حتى أنزله الله سبحانه في هذا البيت الطاهر عند جميع المسلمين بلا اختلاف ولا مرية، وصاحب الأحقية في الإقتداء في زمانه حتى جرى ما جرى من احتيال واغتصاب لأحقيته وحقّه، وحصل ما حصل من أمور جرّت الويل والثبور على المنتهكين حرمته وقدسيته وحتى تبرأ العالم الإسلامي أجمعه من قتلته واعتبرهم زمراً مجرمة خرجت عن الإسلام والدين وسلكت سبيل الغيّ والكفر.

الإمام الحسين عليه السلام عند الشيعة:

دأبت الشيعة - وهم أتباع آل البيت الأطهار - على التمسك بالحسين الشهيد وبأخيه وأمه وأبيه وجدّه وبنيه، ليكونوا الأقدس في اعتقادهم وأنهم حبل الله المتين والتمسك بهم يوصل إلى الصراط

المستقيم وأنهم أهل الحل والعقد والقيادة الدينية والدنيوية، ولا سبيل في حال ولا بشكل من الأشكال عن أخذ إحدى هذه السلطات منهم وسلبها عمداً منهم وإنما هم أهل الصلاح والسبيل الصالح، وإنهم مختارون منه عزّ وجل ولا سبيل إلى الاختلاف معهم أو التقدم عليهم أو خذلانهم ولا سبيل إلى عدم الاحتكام إليهم كما كان مع الرسول الأكرم فإنه ظل الله في الأرض وهم ظله أو امتداده الشريف، نص الله في كتابه العزيز على توليهم للأمور الكبرى في قوله: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[٦]، ولو عُدّ أهل (الذين آمنوا) من الناس جميعاً أفلا يكون الأئمة الأطهار أخيرهم وأحسنهم وأقضاهم وأعدلهم وأعلمهم وأشجعهم، وقد زكّاهم الله سبحانه في قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[٧].

فالشيعة ترى أحقية الإمام الحسين وأفضليته على الخلق في زمانه وأن قتله أجّج في نفوسهم ناراً لا يرون لها انطفاءً وحرقة لا يرون لها هجوعاً، فهم يتمثلون الإمام الحسين في كل حركة يفعلونها وكلمة يقولونها، كتبوا اسمه الشريف على حيطان منازلهم وشوارعهم ومحلاتهم، وسموا به أولادهم حتى لا يكاد يخلوا بيت من بيوتهم من مسمى باسمه الشريف، وعقدوا مجالس الذكر لتذكير الناس بأحقيته التي فرضها الله سبحانه، وأنه قتل مظلوماً وأن قاتليه اختلوا به، وجيشوا له جيوشاً جمعوها في مكان خلي في صحراء كربلاء وعجعجوا به إلى تلك القفراء ليتفردوا به وينكلوا به. وإن كان لا مناص لهم من فعل المنكرات فإنا لا نرى آية من آيات الله سبحانه إلا وجرى لها الضيم والاعتداء من قبل شرار الناس. فهاهم الأنبياء قد قتلوا وشردوا في البلاد وعذبوا في أزمانهم، كل قد ابتلي بما ابتلي به لأنه من أهل الحق والصلاح وإن زمر الكفر والطغيان لا ترضى أن يسود الخير أو أن يكون لأمثال الأنبياء - الصغار في نظرهم والعياذ بالله - أن يكون لهم السلطة والسطوة عليهم وهم أهل الجاه والسلطان والمال والبنين. وكان لكل نبي عدو حتى ابتليت الأنبياء بالقهر والتعذيب والقتل والابادة وهذا ما جرى للإمام الحسين لأن له نصيب آبائه الأطهار من الأوصياء والنبيين ولأنه في زمانه رمز الصلاح والتحرر والجهاد ضد الكافرين والمعتدين وصاحب الصرخة المجللة في وجه الطغاة المارقين ومقولة (لا) التي بقي لصداها الأثر الجليل طوال هذه لسنين. ولعل لعشق الشيعة هذا مبرراً اتجاه الإمام الحسين وليس بدعاً ما يفعلون اتجاهه من أفعال وما يعتقدون من اعتقادات لأن الله سبحانه والرسول الكريم والأئمة الأطهار كان لهم ذلك العشق نفسه، بل أكثر من ذلك ولك بعض هذه الصور في العشق الحسيني التي ظهرت جلية من مثل:

العشق الإلهي للإمام الحسين عليه السلام:

من المؤكد أن حتمية إيمان الناس شيء غير موثوق به ولا هي مما يمكن تصديقه أو الجزم به البتة، أما أن تجد شخصاً تقبّل منه الله سبحانه عملاً أو أنه

من عباد الله الصالحين فذلك موجود ولكن لا يعلم عند الله سبحانه قدره على الحقيقة لعدم ورود نص يثبت إيمانه وتقبل عمله اللهم إلا القليل النادر من العباد، أما أن تجد شخصاً رضي عنه الله وأحبه وتقبل منه عمله الصغير فضلاً عن الكبير فذلك قليل نادر والإمام الحسين من هذا القليل النادر جاء في حقهم قوله تعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ)[٨]، وللحسين بعد ذلك حضوة عند الله لا مثيل لها فقد أحب الله الحسين الشهيد قبل أن يخلق واصطفاه واختاره وعشقه وأهله حتى كتب اسمه مع أهله عنده في الحضرة القدسية فقد جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: (مكتوب على ساق العرش محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام خير خلق الله تعالى)[٩] وقال أيضاً يخاطب أُبي: (يا أبي بن كعب والذي بعثني بالحق نبياً إن الحسين بن علي في السماوات أعظم منه في الأرض واسمه مكتوب عن يمين العرش إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)[١٠] فهل لهذا المستوى من العشق الرباني من أثر ظاهر مع باقي الناس سوى مع هذا الإمام المحبوب الذي بلغ بالله العشق له أن سطر اسمه على ساق العرش ليكون ذلك بمثابة الإعلان الصريح منه سبحانه بأحقية هذا الإمام ومستوى الحب الذي يجب أن يبلغه الناس فيه احتفاءً بما فعل الله معه ومشاركة لله في حبه وتمجيده والنصرة والمؤازرة له، وهاك صورة أخرى من صور العشق الرحماني اتجاه هذا الإمام الشهيد فقد أخذ الرسول الأكرم بيده الشريفة وقال: (أيها الناس هذا الحسين بن علي ألا فاعرفوه، وفضّلوه كما فضّله الله عزّ وجل...) فإن هذه شهادة من الرسول الأكرم بتكريم الله للإمام الحسين الشهيد وأنه مفضل لديه، بل ويأمر الرسول الناس بحبه ومعرفته وتفضيله وفي ذلك شرف عظيم للإمام الحسين عليه السلام.

العشق النبوي للإمام الحسين عليه السلام:

ظهر ذلك العشق والهيام من الرسول الأعظم لشخص الإمام المكرم الحسين الشهيد في صور ومناسبات كثيرة نذكر منها ولا نعدها لكثرتها فمن ذلك تعلق الرسول الأكرم بالإمام الحسين في حياته وهو صغير حتى لا يكاد يرى الرسول الأكرم إلا ومعه الإمامين الكريمين الحسن والحسين. مرّ به رجل وهو يحمل الحسنين فقال نعم المركب التي يركبان فقال الرسول الأكرم من فوره: ونعم الراكبان هما[١١]، فانظر هذا الحنان الكبير الذي جعل الرسول صاحب المهمات الجليلة وصاحب القيادة العليا أن يسير في الطريق وهو يحمل هذين الطفلين، هل لشيء إن لم يكن قد استولى عليه العشق الأكبر في حبهما، وانظر له يوم سجد فأطال السجود فظن الناس وهم سجود خلفه أنه قد نزل شيء ثم قام من سجوده بعد ذلك فلما انتهى من صلاته سأله أحدهم هل نزل شيء في السجود فقد أطلت اليوم فقال الرسول الأكرم: لا ولكن ارتقى الحسين على ظهري فلم أحب أن أنزله حتى نزل من نفسه[١٢]، فانظر إلى هذا التكريم الذي ليس قبله في زمان النبوة

قد جرى لأحد من العباد ، فهاهو يكون تكريماً خالصاً للإمام الحسين منع من نزوله حب الرسول للحسين الشهيد وتكريمه له، وانظر بينما كان الرسول الكريم يخطب بالناس إذ لمح الحسنين وقد أتياه فنزل من على المنبر وقطع خطابه وراح مهرولاً لهما وهما يتعثران فأقامهما ومسح ملابسهما والتفت إلى الحضور وهم جمع المسلمين فقال إنما الأولاد فتنة، واستمع إليه وهو يقول (ريحانتي من الدنيا الحسن والحسين)[١٣] وهل أعظم من ذلك مقولة تنبئ عن جلالة قدر الحسنين عند الرسول صلى الله عليه وآله واستمع إليه وهو يقول: (يا أيها الناس إنه لم يعط أحد من ذرية الأنبياء الماضين ما أعطي الحسين بن علي خلا يوسف)[١٤].

وهذه الأقوال وتلك الأفعال إنما تنبئ عن عشق نبوي خالص اتجاه هذا الإمام المحبوب، وقصة الملك (فطرس)[١٥] أشهر من أن تذكر حتى سمي في السماء (شفيع الحسين). ويكفيك معنى جليلا أن الرسول الكريم أطلق شعاره الكبير في حق الحسين الشهيد الذي يقول فيه (حسين مني وأنا من حسين)[١٦] الذي لم يعرف الناس له مثيلاً في الأحاديث سوى مع الأمام علي والإمام الحسين الشهيد[١٧]، وقد تردد هذا الشعار في السماء كما تردد في الأرض ليكون مثالاً لعشق الرسول الأكرم لهذا الوليد الفريد والإمام الشهيد.

العشق العلوي للإمام الحسين عليه السلام :

لعل من اللائق مقدماً أن نذكر أن الإمام الحسين يرتبط مع أخيه الإمام الحسن بروابط كثيرة لا سبيل لاستقصائها لمقولة الرسول (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)[١٨] وإنما الذي جعل مسألة الإمام الحسين تبرز كل هذا الحد من البروز أمور كثيرة، لارتباط الحسين بمسألة القتل العلني مع أسرة الرسول وذريته وأصحابه، وهنالك سبب وجيه ذكره الإمام الصادق عندما سئل عن السبب الذي صار اليوم الذي قتل فيه الحسين أعظم الأيام مصيبة وقد مات قبله الرسول الأكرم وفاطمة الزهراء وأمير المؤمنين والحسن المجتبى، فكان جوابه أن أصحاب الكساء الخمسة كانوا أكرم خلق الله على الله فبموت أحدهم بقي للناس غيره ممن يستأنس به في غيبة من مات،

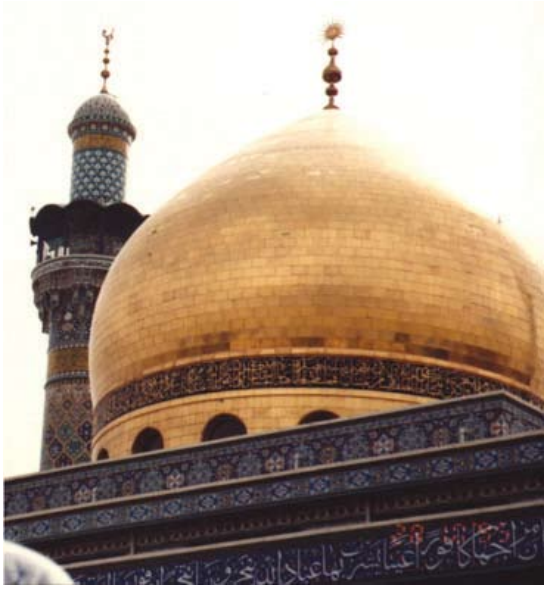

مرقد السيدة زينب بنت علي (عليهما السلام) في الشام

حتى إذا مات الحسين كان ذلك غياب أهل الكساء من على وجه الأرض وفي ذلك مصيبة جليلة[١٩]. أما عن العشق الذي سيطر على أمير المؤمنين اتجاه ولده الحسين الشهيد فقد برز بأمور كثيرة نذكر منها أولاً مسألة التعلق الشديد منه اتجاه ولديه وبالأخص الحسين الشهيد وقوله: (املكوا عني هذا الغلام لا يهدني، فإني أنفس بهذين (يعني الحسن والحسين عليهما السلام) على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله)[٢٠]، فقوله (املكوا عني) و(فإني أنفس بهذين) يدل على حبّ أمير المؤمنين عليه السلام لولديه حباً شديداً لا يتحمل بعدهما من جهة ولا يتحمل فراقهما من جهة أخرى.

العشق الإمامي للإمام الحسين عليه السلام:

لقد أخذ الأئمة الأطهار على أنفسهم نشر حب الإمام الحسين في قلوب المسلمين ليزداد تألقاً على تألقه وليتشبث به المحبون أكثر وأكثر لأن الحسين عليه السلام سطر بموته ملحمة خالدة لا يجب أن يغيّبها التاريخ ورؤساء الدول الطغاة الذين بنوا أساس ملكهم على الجور والحيف ونكران حق الأئمة الأطهار في القيادة الدينية، ولعمري كيف يكون ذلك إن كان للإمام الحسين هذا الألق المدوي وكيف يكون ذلك وهناك من يريد إجراء تحقيق عادل عن جريمة الإنسانية الكبرى في إبادة نسل الرسول الأكرم في واقعة لم يعرف لها التاريخ مشابهاً من ناحية القتل الجماعي لأسرة النبي أيّ نبي كان في الوجود. نعم لا يوجد لمثل حادثة الحسين مثيل من ناحية الإبادة المقصودة لذرية النبي المصطفى بقيادة الإمام الحسين لأن قاتليه يعرفون حقّه جيداً، فأهل مكة أدرى بشعابها وقتلته يعلمون أن للإمام الحسين الأحقية الكبرى عليه في الرياسة الدينية والمدنية، كما كان ذلك لجده النبي الأكرم ولأبيه وأخيه من قبل حتى إذا ذهب السابقون وبقي من أهل الحق الإمام الفذ الحسين الشهيد عقدوا عزمهم على قتله ولو كلفهم ذلك الاشتهار بين الناس أنهم قتلة أهل الوحي المبارك.

وقد ندد الأئمة الأطهار بقتلة الحسين ودأبوا على إعلاء ذكره بين الناس وطلب الثأر له لتكون أفواههم رطبة بذكر الحسين الشهيد في كل مناسبة وفي كل وقت، نذكر مثلاً لذلك الأمام السجاد الذي بكى أبيه وأهله الأطهار وأصحاب أبيه القتلى في كربلاء من يوم قتلتهم الشنيعة إلى أن فارق الدنيا حتى سمي بالبكاء السادس بعد الأنبياء آدم ونوح ويعقوب ويوسف والسيدة فاطمة عليهم الصلاة والسلام، ولكل سببه، ولكن الأمام السجاد اتخذ من البكاء وسيلة يوصل للناس حبّه لأبيه الحسين وحتى يتعلم الناس منه الحب الصادق والوفاء ومثله فعل الأئمة الأطهار من إعلاء ذكر الأمام الحسين فهاهو الأمام الصادق يقول: (كلنا سفن النجاة ولكن سفينة جدي الحسين أوسع وأسرع).

عشق العلماء للإمام الحسين عليه السلام:

من يقرأ كتب التراث الإسلامي يجد في طيات الكتب الشيء الكثير عن أثر الحسين في أقلام هذه العلماء وقد أخذ بهم العشق الحسيني أثره الواضح. فقد

نجد من يكتب عن مأساة الطف وهو من علماء السنة الأجلاء مثلما فعل الشيخ أبو مخنف، ومنهم من سجل الحادثة بكتابه بتفاصيلها مثل الطبري[٢١] وابن كثير[٢٢] والسيوطي[٢٣] وغيرهم ومنهم من ألف كتباً خاصة في أهل البيت الأطهار ذاكراً ما للحسين من منزلة عند الرسول وعند المسلمين عامة متعرضاً لفضائله وكراماته ذاكراً أحاديثه متوسعاً في ذكره جرّه لذلك العشق الذي انغرس في أعماق الناس لهذا المظلوم الشهيد لأنه عنوان البراءة والدعة كما كان عنوان الجهاد والرجولة وعنوان الفضل والكرامة كما كان عنوان الإيمان والطاعة لله سبحانه لأنه أحد الخمسة أهل الكساء الذين قال الرسول بحقهم بعد أن جللهم بكساء: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)[٢٤] وقال عنهم: (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)[٢٥] إلى غير ذلك مما ذكره علماء السنة الأجلاء في مدح الأئمة الأطهار وبالأخص الأمام الحسين مثل ما ذكره الحسكاني والقندوزي وابن شهر آشوب وغيرهم.

عشق الشيعة للإمام الحسين عليه السلام:

لم يختلف الناس في مظلومية الحسين الشهيد، ولم يختلف الناس أيضاً في بشاعة واقعة الطف الأليمة، بل جلّ العلماء السنة استنكروا فعلها، ورثوا الحسين وأدانوا قاتليه وتنكروا لهم، ودعوا عليهم بالويل والثبور وهذا ما تفعله الشيعة وهم محبوا أهل البيت المتبعين نهجهم القويم في المسائل الفقهية والأمور الدينية كلها إلا أن للشيعة مسائل حسينية اختصوا بها لأنفسهم واشتهرت عنهم دون غيرهم من المسلمين من مثل البكاء على الحسين الشهيد وأهله الذين قتلوا معه وأصحابه الذين استشهدوا بين يديه وذكر الواقعة بتفاصيلها لزيادة التأثير على السامعين لفهم ما جرى للحسين بدقة وحتى تتأثر القلوب اتجاههم، وتُزدرى الحالة التي حصلت والمؤامرة التي أعدت ضدهم، ليكون ذلك أبلغ عند المحاججة وأوقع في النفوس. ومن مثل النياحة والبكاء الشديد واللطم على الرؤوس والوجوه والصدور لزيادة أثر هذه الواقعة في نفوس المؤمنين لإظهار ألمهم الشديد عليه لأنه الابن البار للرسول الأكرم، فكما يتألم جميع المسلمين عند ذكر مقاتل الأنبياء في أزمانهم. فإن الأولى أن يتألم المسلمون لقتل أولاد النبي الأكرم وذراريه في واقعة أليمة شديدة الوقع على النفوس وأن يظهر العالم الإسلامي بأجمعه البراءة من قتلة الحسين، وأن يعمل المسلمين جادين على تحقيق العدالة في إرجاع الحق إلى أهله، وأن يكون لله الطاعة المطلقة في تولية الولي الحق على العباد لا أن يلجأ المسلمون أنفسهم لذلك، لأن للناس أهواء ومشارب ولا سبيل بحال من الأحوال لم شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم على رجلٍ بعينه يكون هو القائد المطلق فيهم برضًا حقيقي مبارك فيه. كما أن الشيعة وبواعز من عشق كبير دأبت على عقد مجالس الذكر لتوعية الناس في قضية الإمام الحسين، وأنه إمام حق مرسل من رب العزة، مفروض الطاعة بتأييد من الرسول الأكرم لقوله: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)[٢٦] كدليل على أحقيتهما في الخلافة بعده

وأن الأهـواء بعـد وفـاة الرسـول أخذت فـي الناس مأخذاً وتحولت بهم إلى سـبل شتى، فضاعت الجماعة بين هذا الطريق وهـذا الطريـق، وذهـب الإسـلام يلملم جراحه عند هذا الـرأي أو ذلك، وافترق المسـلمون مذاهب وتعددت آراء العلماء فـي المسـائل حتى غـدا الخلاف شـعار المسلمين والحمد للّه أولاً وآخراً والصلاة على محمد وآله الأطهار■

(١) ينظر: المقنعة: الشـيخ المفيد (٤١٣ هـ)، جامة المدرسين، قم، ١٤١٠ هـ: ٤٦٧.
(٢) ينظر: كنز العمال: المتقي الهندي (ت: ٩٧٥ هـ)، تـح: الشـيخ بكـري حياني و الشـيخ صفوة السـقا، مؤسسـة الرسـالة، بيروت، د/ت: ١٨ /١٢٠.
(٣) بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (١١١١ هـ)، مؤسسةالوفاء، بيروت، ط/٢، ١٩٨٣: ٢٣/ ١٠٤.
(٤) الإنسان: ٢-٣.
(٥) سورة الواقعة: ٧.
(٦) المائدة: ٥٥.
(٧) الأحزاب: ٣٣.
(٨) الواقعة ١٠ _ ١٤.
(٩) مدينة المعاجز: السـيد هاشـم البحراني (ت: ١١٠٧ هـ)، تح: الشـيخ عـزة اللّه المولائي، مؤسسـة المعارف الإسلامية، إيران، ط/ ١، ١٤١٣ هـ: ٢ / ٣٩٤.
(١٠) مدينة المعاجز: السيد البحراني: ٤ / ٥٢.
(١١) ينظـر: كتـاب سـليم بن قيـس الهلالي تح: العلوي النجفي، مؤسسـة النبـراس، النجف الأشـرف، د/ت: ٢٢٧ وينظر: ذخائر العقبى فـي مناقب ذوي القربى: محـب الدين أحمد بن عبـد اللّه الطبري (٦٩٤ هـ)، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦: ١٣٠.
(١٢) ينظر: ينابيع المودة: الشيخ سليمان الحسيني البلخـي القنـدوزي، منشـورات المكتبـة الحيدرية، النجف الأشـرف: ٢ / ١٩٥- ١٩٦، وينظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢٢٩.
(١٣) الكافـي: الشـيخ الكلينـي (٣٢٩ هـ) تح: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسـلامية، إيران، ط/ ٣، ١٣٦٧ هـ: ٦ / ٢، وينظر: مسند أحمـد: الإمـام أحمد بن حنبـل (ت: ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، د/ ت: ٢ / ٩٣.
(١٤) ينابيع المودة: ١/ ٧٨.
(١٥) ينظر في قصته: بحار الأنوار: ج / ٢٦: ٣٤١، وينظـر: الأمالي: الشـيخ الصـدوق (ت: ٣١٨ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، قم، ط/ ١، مط/ مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧: ٢٠٠.
(١٦) الإرشـاد فـي معرفة حجج اللّه علـى العباد: الشـيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، تح: مؤسسة آل البيت، دار المفيد للنشر، د/ ت: ٢ / ١٢٧.
(١٧) ينظر: ينابيع المودة: ١/ ١١.
(١٨) مناقـب آل أبـي طالـب: ابن شـهر آشـوب (ت: ٥٨٨ هـ) تح: لجنة من الأسـاتذة، مط / الحيدري، د/ ت: ٣ / ١٦٣.
(١٩) ينظـر: علل الشـرائع: الشـيخ الصدوق (ت: ٣١٨ هـ)، مط/ الحيدريـة، النجف، ١٩٦٦: ١ / ٢٢٦.
(٢٠) نهـج البلاغة: لأميـر المؤمنين علـى بن أبي طالـب، تـح / الشـيخ محمـد عبـدة، دار المعرفة، بيروت: ٢ / ١٨٦.
(٢١) ينظـر: تاريـخ الأمـم والملـوك: ابـن جرير الطبـري (٣١٠ هـ)، تـح: نخبـة مـن العلمـاء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت: ٤ / ٢٦٣.
(٢٢) ينظر: البداية والنهاية: إسـماعيل بن عمر بن كثير القرشـي أبو الفداء، كتبة المعارف، بيروت: ٨ / ١٦٩.
(٢٣) ينظـر: تاريخ الخلفاء: عبـد الرحمن بن أبي بكـر السيوطي، تح / محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط/١، ١٩٥٢: ١٨٢.
(٢٤) الفصول المختارة: الشـيخ المفيد (٤١٣ هـ)، تح / السـيد مير علي شـريفي، دار المفيد، بيروت، ط/٢، ١٩٩٣: ٥٣.
(٢٥) عيـون أخبار الرضا: الشـيخ الصدوق (٣٨١ هـ)، تح / الشـيخ حسـين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط/١، ١٤٠٤: ١ / ٦٤.
(٢٦) مناقب آل أبي طالب: ابن شـهر آشـوب: ٣ / ١٦٣.

قصيدة:

في رحاب الحسين*

الخطيب السيد مرتضى القزويني •

دون المبادئ قد فديت وجودا ... ورميت رمياً في الصلاح سديدا
ومضيت محمود الخصال منزهاً ... وتركت ذكراً لا يزال مجيدا
ونهجت نهجاً في الفضيلة حائز الـ ... ـشرف المؤثل طارفاً وتليدا
ونهضت نهضة سيد غدرت به ... ضعة العبيد وأخلفته وعودا
ووثبت وثبة ضيغم قد غاظه ... شره الكلاب فهب يردي الصيدا
حلّقت في جو الإباء مشمراً ... عن ساعديك ومشرئباً جيدا
وسللت سيفاً في وجوه طالما ... تخذت لها طيش الهوى معبودا
وشرعت رمحك في صدور أضمرت ... لبني النبي ضغائناً وحقودا
قابلت أوجههم بوجهٍ عابس ... وفللت جمعهم وكنت فريدا

* * * * *

تبت يدا فئة جفتك ونافقت ... في الدين واختارت عليك يزيدا
تُنسى الدهورُ الذكريات فتنقضي ... وتزيلها مهما اقتضت تشييدا
ويخفُّ وقع الفادحات إذا مضى ... زمن، وإن كان المصاب شديدا
لكن ذكرك يا ابن بنت محمد ... يبقى على مرّ السنين جديدا

* منتقاة من كتاب (الحسين في الشعر الكربلائي).

وبـكـل عـام يـنـجـلـي متحلياً للمجد ثـوبـاً والـفـخـار بـرودا

* * * * *

يـا قـدوة الأحـرار قبرك مخبأ الـ أسـرار لاذ بـه الـعـفـاة رقـودا
هـو مهبط الـبـركـات قـد حفت به زمـر الـمـلائـك ركـعـاً وسـجـودا
يـرنـو إلـيـك المصلحون ليقتنوا درس الفضيلة غُـيّـبـاً وشـهـودا
يلقى بـه درس الإبـاء لـمـن له قـلـبٌ وألـقـى السمع ثـم شهيدا
يـدعـو هـتـافـاً بـالـذيـن تحملوا ضـيـمـاً وأحـنـوا لـلـمـذلـة جيدا

* * * * *

ضحّوا النفوس لتستعيدوا مجدكم واستبسلوا كي تدركوا المقصودا
ثـوروا على الظلم العتيد وقاوموا الطاغي العنيد لتبلغوا المنشودا
واسترخصوا الأدراج في نيل المنى لا تخشوا الإرهـاب والتهديدا
فليَحْيَ مجدُك يا حسينُ مخلداً ولـيـبـقَ ذكـرك يـا شهيد مجيدا

* * * * *

يا سيد الأبـرار قد هـزّت شجاك الـ ـراسـيـات وشـقّـت الـجـلـمـودا
ورفـعـت رأس الفخر ترنو للعلا حـزت السعادة إذ مضيت حميدا
وتركت صوت الحق يدوي صارخاً بيَّضتَ وجهي إذ صرعت فقيدا
لك في محاني الطف صيحتك التي مـلأت سـمـاع العالمين نشيدا
أنـا قـدوة للمصلحين أقـودهـم نـحـو الفضيلة قـائـداً وشهيدا
هـذا دمـي فـلـتـروِ ظامية الظبى منه، ولـي تفري السيوف وريـدا
هـذي نسائي تُستباح حريمها قـسـراً وتـهـدى لـلـبـغـيّ يـزيـدا
عش خالداً فالبيض في صفحاتها كتبت لـذكـرك يـا حسين خلودا

* * * * *

قراءة العلماء.. للمجالس الحسينية

أحمد علي مجيد الحلي •
باحث ومحقق

ينابيع إن علماءنا الأعلام وعلى مر التاريخ وفي مختلف الأصقاع دأبوا على إقامة المجالس الحسينية، يرتقون الأعواد ويفطرون الأكباد بوصفهم لما جرى على العترة الطاهرة والصفوة الزاكية. وما كانوا يضنون على ذلك بالنفيس من أوقاتهم ولا يزاحمهم العزيز من أشغالهم التزاماً منهم بوصية أئمتهم وأنتهاجاً منهم لمنهاجهم صلوات الله وسلامه عليهم حيث كانوا يترحمون على من يحيي أمرهم وينشر ذكرهم ويوصون بالإبكاء والبكاء والتباكي على جليل ما أصابهم وعظيم ما دهاهم فإنه يحط الذنوب العظام والأوزار الجسام.

وإحياءً منا لذكر هؤلاء الأعلام حاولت أن أدرج في هذه العجالة بعض من تصدى لهذا الأمر من العلماء السابقين أو المعاصرين على نحو الأجمال لا على نحو التفصيل، وذلك خوف الإطالة. وذكرتهم بحسب تاريخ وفياتهم أو تاريخ ولادتهم وإليك أسماءهم:

١ـ الشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق رحمه الله) (ت٣٨١هـ): فلقد أملى على حاضري مجلسه، عدة

من أعلى اليمين: السيد حسن الخرسان قدس سره، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره، الشيخ جعفر التستري قدس سره، السيد الحكيم (مدّ ظله)، السيد عبد الرزاق المقرم قدس سره، السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

مجالس في مقتل الإمام الحسين عليه السلام بلغت الخمسة أملاها في العشرة الأولى من المحرم[1].

٢ـ الورع التقي السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس رحمه الله (ت٦٦٤هـ): فلقد صرح في كتابه إقبال الأعمال بقراءته لمقتل الإمام الحسين عليه السلام على الحاضرين وأدرج في كتابه هذا مقتله الذي سماه بكتاب (اللطيف في التصنيف في شرح السعادة بشهادة صاحب المقام الشريف)، أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس: (اللهم إننا نقرأ هذا المقتل عليك). وآخره: (وأحسن عزاكم أيها الحاضرون وإنا لله وإنا إليه راجعون). وهو يقع في سبع صفحات، وحبذا لو أفرد من قبل أهل التحقيق، وطبع على حدة[2]. كما ذكر رحمه الله في كتابه مصباح الزائر ص٢٨٦، ما نصه: (ومن عمل يوم عاشوراء المشار إليه، قراءة مقتل الحسين عليه السلام، وسنذكر الغرض من ذلك آخر هذا الكتاب على الوجه الذي تقرر من الصواب إن شاء الله).

٣ـ الفقيه الحجة المولى رحمه الله (ت١٢٩٧هـ): ذكر قراءته للمجالس الشيخ علي آل كاشف الغطاء، في كتابه الحصون المنيعة، إذ قال ما نصه: وكان يرقى المنبر في كل ليلة جمعة

وخميس ليذكر الأخبار في فضل أهل البيت وليلقي المسائل الشرعية والمواعظ الأخلاقية، ثم يختم المجلس بذكر مصاب الحسين عليه السلام[٣].

٤ـ الفقيه الشيخ جعفر بن الحسين التستري (الشوشتري) النجفي رحمه الله: المتوفى في كرند من طريق العتبات، راجعاً من مشهد الرضا عليه السلام ليلة الأربعين التي تناثرت فيها النجوم وشوهد ذلك في جميع البلاد، وهي ليلة العشرين من صفر سنة ١٣٠٣هـ وقد حدثني الخطيب الشيخ شكر بن الشيخ محمد القرشي أن الشيخ جويدة حدثه ـ وكان مؤذن السيد أبي الحسن الأصفهاني رحمه الله وكان معمراً ـ أن الشيخ جعفراً الشوشتري رحمه الله كان إذا قرأ في الجهة الشمالية من الصحن العلوي، كان المكان يشترى بالمال من قبل الأعيان والتجار وأنه رأى تناثر الكواكب والنجوم في يوم وفاته في وضح النهار. وطبعت مجالسه الحسينية بعنوان فوائد المشاهد[٤].

٥ـ الفقيه الشيخ محمد حسن آل ياسين الكاظمي رحمه الله (ت١٣٠٨هـ): ذكره السيد حسن الصدر في التكملة، وذكر له كتاب المجالس في أيام عاشوراء جمعه ورتبه وكان يقرأ فيه أيام عاشوراء[٥].

٦ـ الميرزا الشيخ حسين بن محمد تقي النوري رحمه الله (ت١٣٢٠هـ): فقد تحدث البعض عن مجلسه وهيبته فيه، وكيف يختلف الناس إلى مجلسه في يوم الجمعة زرافات زرافات. فإليك ما قاله اثنان من أساطين العلماء عن مجلسه، ودقة ما يذكره الشيخ النوري رحمه الله فيه، فلعل البعض يأخذ العبرة بذكري لقولهما رحمهما الله، وهما:

أ ـ السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله: إذ قال في أعيانه ما نصه: وكان يقرأ بنفسه في مجالس الذكرى، التي يقيمها في داره لوفيات أهل البيت عليهم السلام وحضرت يوماً في بعض تلك المجالس فسمعته يقول: إن الكلام المنسوب إلى الأصبغ بن نباتة أنه خاطب به أمير المؤمنين عليه السلام ـ لما ضربه أبن ملجم ـ الذي فيه (إن البرد لا يزلزل الجبل الأشم، ولفحة الهجير لا تجفف البحر الخضم، والليث يضرى إذا خدش والصلب يقوى إذا أرتعش) لا أصل له، ولم يرو في كتاب. وتذكرت ما سمعته من بعض علماء جبل عامل الذين درسوا في العراق وسمعوا هذا الكلام من أفواه الخطباء فظنوا حقاً لما فيه من التزويق والتسجيع الفارغ، ولم يعلموا أنه موضوع لبعدهم عن الإطلاع على التاريخ والآثار، وتقصيرهم في ذلك، فكان يعجب بهذا الكلام، ويكرر تلاوته. ثم إني حينما ألفت في سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام فتشت فلم أجد له أثراً[٦].

ب ـ الشيخ آقا بزرك الطهراني رحمه الله: إذ وصف مجلسه بما نصه: أما في يوم الجمعة فكان يغير منهجه، ويشتغل بعد الرجوع من الحرم الشريف، بمطالعة بعض كتب الذكر والمصيبة، لترتيب ما يقرؤه على المنبر بداره ويخرج من مكتبته بعد الشمس بساعة، إلى مجلسه العام، فيجلس ويحيي الحاضرين، ويؤدي التعارفات ثم يرقى المنبر فيقرأ ما رآه في الكتب بذلك اليوم. ومع ذلك يحتاط في النقل بما لم يكن صريحاً في الأخبار الجزمية. وكان إذا قرأ المصيبة تنحدر دموعه على شيبته[٧].

٧ـ الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله (ت١٣٧٣هـ): فقد ذكر لي

نجله الشيخ محمد شريف أن والده كان يرتقي المنبر في اليوم العاشر، ويقرأ ما كتبه بنفسه من مجالس حسينية وكان جهوري الصوت عند قراءته، ويغص مجلسه بالناس من عامتهم وخاصتهم.

٨- الورع التقي السيد جعفر أبن السيد حبيب الشيرازي رحمه الله: كان يقرأ مصاب الإمام الحسين عليه السلام في كتاب لأهله وعياله وكان المرحوم آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي يعتمد عليه كثيراً كذا حدثني به سماحة الخطيب السيد مهدي الشيرازي.

٩- السيد عبد الرزاق بن محمد المقرم رحمه الله (ت١٣٩١هـ): صاحب التصانيف المشهورة في تاريخ آل محمد صلى الله عليه وآله فإنه كان يرتقي المنبر لذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام، وفي اليوم العاشر من شهر محرم الحرام في حسينية النجفيين الواقعة في كربلاء المقدسة. وكانت قراءته مؤثرة للغاية في نفوس الحاضرين كذا حدثني جماعة حضروا المجلس.

١٠- السيد محمد تقي أبن السيد حسن آل بحر العلوم رحمه الله (ت١٣٩٣هـ): كان يرتقي المنبر لذكر مصاب الإمام الحسين عليه السلام، في العشرة الأولى من شهر محرم الحرام في بيته، ويقرأ فيه ما كتبه لنفسه. كذا حدثني جماعة ممن عاصروه وحضروا مجلسه. وأستمر على نهجه نجله آية الله السيد حسين بحر العلوم رحمه الله (ت١٤٢١هـ) وحضرت مجلس نجله المرحوم منذ طفولتي ولعدة سنوات.

١١- المحقق آية الله السيد حسن ابن السيد عبد الهادي الخرسان رحمه الله (ت١٤٠٥هـ): قرأ مجلساً في بيت الشيخ البهائي رحمه الله بجوار الإمام الرضا عليه السلام وحضر مجلسه هذا ثلة من أعيان العلماء أمثال العلامة الأميني رحمه الله والسيد ضياء الدين بحر العلوم رحمه الله وغيرهم، من الذين تزامن سفرهم لغرض أداء الزيارة حينه، وقرأ بكتاب مثير الأحزان الذي استعاره نجله سماحة السيد محمد مهدي دام ظله من مكتبة الإمام الرضا عليه السلام وكان له في بيته مجلس عزاء في صباح كل يوم خميس أسبوعياً، وفي أيام وفيات الأئمة عليهم السلام وفي شهري المحرم وصفر، وكان يقرأ له المرحوم الشيخ حسن سبتي. حدثني بذلك نجله سماحة آية الله السيد محمد مهدي (حفظه الله ومدّ في عمره) ـ علماً أن سكرات الموت جاءته أول ما ارتقى الخطيب المنبر في يوم (١١) من جمادى الأولى في الأيام الفاطمية وتوفي بعدها بيوم واحد.

١٢- المحقق الشيخ باقر بن شريف القرشي (ولد سنة ١٣٤٤هـ): فإنه كتب إلي أنه تشرف بقراءة المقتل الحسيني، في يوم عاشوراء لعدة سنوات في بيت آل نصار في محلة العمارة كما ذكر لي ذلك جماعة ممن حضروا مجلسه ذلك[٨].

ونص ما كتبه إليّ هو:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من دواعي الإعتزاز والشرف، القيام بخدمة سيد الشهداء، وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام، ومن بنود الخدمة قراءة المقتل الحسيني في أيام العشرة الأولى من المحرم، ومن المجالس التي كانت معقودة في النجف الأشرف مآتم آل نصار، وهو من المجالس القديمة، وكان يقرأ فيه الأعلام والفضلاء، وقد توقفت فقرأت فيه زهاء أربع سنين، والله الحمد، وكانت معظم المجالس يقرأ المقتل فيه

بعض المجتهدين، أمثال آية الله العظمى السيد محمد تقي آل بحر العلوم وغيره من الأعلام، وهو توفيق من الله تعالى يمنحه الصالحين من عباده).

باقر شريف القرشي

٢٠/رجب/١٤٢٨هـ

١٣- المحقق آية الله السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، (ولد سنة١٣٤٧هـ): يقيم في بيته مجلس عزاء، في العشر الأولى من شهر المحرم وإلى يوم الثالث عشر، وفي أيام وفيات المعصومين عليهم السلام وفي سائر شهر رمضان، وفي كل يوم جمعة على مدار السنة. ويقرأ هو بنفسه فيه (حفظه الله ومد في عمره)، وربما قرأ فيه من مؤلفاته علينا، ولازمت مجلسه هذا منذ نيف وعشر سنين، وإذا رمت أن أصف هذا السيد ومجلسه، فإن قلمي يعجز عن البيان، ولساني يكل عن وصف ذلك الإنسان وكم له من الفضل علينا في هذا المجلس وغيره في بيان ما أستبهم من خفي العلوم، وفي رد ضال إلى هداه، وو... ألخ. وهو (دام ظله) فيه واضح الأسلوب في كلامه، فخم العبارة، ويعبر عن ضميره بأحلى العبارات الحسان، فيبلغ بكلامه كنه القلوب، من خواص الناس وعوامّهم، يخاطب كلاً منهم بما يتناسب مع شعوره، ويتفق مع مبلغه من الفهم والعلم، بكلام هو أندى على الأفئدة من زلال الماء. وإذا أنبرى للوعظ والإرشاد، فجر الله على لسانه ينابيع الحكمة، فملك أعنّة القلوب، ورد شوارد الأهواء، وقوّم زيغ النفوس فخشعت الأبصار، وخفقت الأفئدة خشيةً ورقّة. وما أرى نفسي إلا صنيع ذلك المجلس، الذي أساسه ذلك السيد المعطّر بأريج الولاء لآل محمد صلى الله عليه وآله.

١٤- الفقيه المرجع آية الله الشيخ الوحيد الخراساني (حفظه الله ومد في عمره) (معاصر): تشرف بقراءة مصاب الإمام الحسين عليه السلام، كما هو مذكور في كتابه مقتطفات ولائية، ويمتاز بيانه في ذكر الواقعة بأروع تجسيد ليوم الطف[٩].

١٥- الفقيه المرجع آية الله السيد محمد سعيد بن السيد محمد علي الحكيم (حفظه الله ومدّ في عمره) (ولد سنة ١٣٥٤هـ): تشرف بقراءة المقتل الحسيني في يوم عاشوراء، لعدة سنوات في بيته، كما ذكر لي جماعة ممن حضروا مجلسه ذاك، وأشار هو إلى ذلك في رسالة له أسماها رسالة أبوية[١٠].

١٦- الشهيد السعيد آية الله السيد محمد باقر ابن السيد محسن الحكيم قدس سره (ت١٤٢٤هـ): كان رحمه الله من ديدنه قراءة مقتل

الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء[11].

وختاماً أود أن أذكر إخوتي من خطباء المنبر الحسيني، بأن يقتصروا على ذكر مصرع سيد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء فقط، وينهجوا نهج الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله في كتابه مقتل الحسين عليه السلام وغيره من الأعلام، وذلك لئلا يهون الخطب، وتتعود عليه مسامع بني البشر، فإن ذكره في هذا اليوم لهو مما يصدع القلوب، ويورث الكآبة ويرسل الدموع إرسالاً، على ما جرى لآل الرسول صلى الله عليه وآله، وإن هذا العمل لمن المستحسن، وقد أنتهجه البعض من العلماء والخطباء كالخطيب المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي رحمه الله (ت١٣٩٤هـ) على ما هو مسموع منه ـ وقوله في ذلك من المشهور ـ والخطيب البارع الشيخ شاكر الشيخ محمد القرشي (حفظه الله) فإني سمعته يقول مراراً ومن على المنبر: إني ما ذكرت مصرع الحسين عليه السلام منذ خمسين سنة، ورأيت أنا من علمائنا الأعلام من لا يذكر المصرع ـ لقدسيته ـ حتى في هذا اليوم، كآية الله السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان (دام ظله) أثناء ما يُملي علينا في مجلسه في أيام شهر محرم الحرام، ومن كتابه شذا العرف في شهداء الطّف، وغيره من الفوائد التي هي كالدرر. فعندما يصل لسطره، تراه كاسف الوجه كأنه يحتضر، وترى دموعه تتحدر على شيبته كأنها اللؤلؤ المتساقط؛ وكم له من فضل عليَّ يقصر عن تأدية حقه شكري له، ولا أرى ـ سوى الاعتراف بالقصور منّي عن تأدية حقه ـ فضيلة لي أرفع بها رأسي شامخاً.

وختام المسك ما أوصى به الشيخ عباس القمي رحمه الله أهل المنبر، في كتابه نفثة المصدور ص٦٢١، بما نصّه: (ينبغي أن يراعي في ذكر المصائب ـ سيّما في غير أيام عاشوراء ـ ما لا يقسى به القلب، ولا يهوّن به الخطوب، كالمصائب الموجعة الفادحة) ■

---

(١) انظر أمالي الصدوق: ١١٢-١٤٨، ط النجف.
(٢) انظر أقبال الأعمال: ٥٧/٣، فصل١١.
(٣) انظر ماضي النجف وحاضره: ٢٤٠/٢، وفيه له ترجمة وافية من ص٢٣٨ إلى ص٢٤٣.
(٤) انظر الذريعة: ٣٥٢/١٩.
(٥) انظر الذريعة: ٢٥٣/١٩.
(٦) انظر أعيان الشيعة: ١٤٣/٦.
(٧) انظر مستدرك الوسائل: ٤٥/١. كما ذكر أن مجالسه تلك كتبها أحد تلامذته، إذ قال في الذريعة ج١٩ ص٣٦٨ ما نصه: مجالس المواعظ التي أملاها شيخنا العلامة النوري الميرزا حسين أبن العلامة الميرزا محمد تقي الطبرسي: كتبها وجمعها الشيخ الجليل المولى محمد حسين القمشهي النجفي الصغير، تلميذ المولى القمشهي الكبير، توفي جامع (المواعظ) في ثاني المحرم ١٣٣٨هـ والنسخة بخطه عند ولده الشيخ محمد حسن في النجف، وكلما تلحّ عليه أن يخرجها من الرازونة لينتفع بها لا يرضى.
(٨) قال الشيخ آقا بزرك الطهراني(رحمه الله) في الذريعة ج١ ق١ ص٣١، ما نصه: (قال سيدنا في التكملة إن الشيخ نصار العبسي هو أول من أسس إقامة مجالس التعزية في النجف، ومن عصره كثرت المجالس، وأجريت سنته حتى يومنا وكانت وفاته حدود سنة ١٢٤٠هـ).
(٩) انظر مقتطفات ولائية: ١٥-٢٣.
(١٠) انظر رسالة أبوية: ٦٠.
(١١) وأخبرني بعض طلبة البحرين أن جل علماء البحرين ـ قديماً وحديثاً ـ دأبوا على قراءة المجالس الحسينية، وقل من شذ عن هذه الطريقة.

من زار الحسين كأنما زار الله في عرشه

قراءة..

في جهاد الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ صاحب نصّار •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

مما لاشك فيه إن نهضة سيد الشهداء تعتبر علامة فارقة في التاريخ العربي الإسلامي، بل والعالمي أيضاً، وعليه يجب الوقوف عندها لدراسة أحداثها والتعمق في مدلولاتها، ففيها أعظم درس للأجيال المتعاقبة على مر العصور، وتعد أساساً لكثير من الثورات التي اندلعت بعدها، فكانت نبراساً للثائرين، تهز في داخلهم صوت الحق وتلهب مشاعرهم للنهوض بوجه الظلم والعبودية والاستبداد والجبروت، فكان درس كربلاء سبباً مباشراً في يقظة الشعوب المظلومة للمطالبة بالتحرر والخلاص.

ماذا أقول وألهج
أنا في رحابك محرجُ
ماذا أقول بثائر
بدم الإباء مضرجُ
من أين أبدأ سيدي
كلمي وكيف سأخرجُ
لك في الجهاد مواقف
كبرى ودرب أبلجُ
لولا جهادك سيدي
لقضى عليه السُنّجُ
أغراهم بالمال طاغيةٌ
خؤون أهوجُ

لقتال سبط المصطفى
بلا حيـــاءٍ يخـــرجُ
لله وقـــعة كربـــلا
منهـــا الفدا يتـأرجُ

ولنـا وقفة مع معركـة الطف الخالدة نسـتجلي فيها الأبعاد الفكرية والعقائدية والجهاديـة وجوهرهـا الوضـاء بالمعاني السـامية والتضحية والإباء والشمم، لعلنا نرتقي فـي إدراك ذلك وغيـره عملاً بعد المنهج وممارسة بعد الدراسة وتطبيقاً بعد التنظير، نستوحي منها الدلالات العقائدية الثوريـة والتزامـاً بالمضامين الجهادية، وسـيراً على خطى الشـهادة الحقة، بعيداً عن الظواهر السـلبية المختلفـة المبتدعة والجاهلية الحديثة.

لـم يقف رمـز الثائريـن المصلحين عند ظواهـر الأمور وسـطحيات الوقائع وشـكليات الحـالات، بل إنـه خرج على الواقع المؤلم المرير لما رأى فيه انحرافا عـن المسـار الإسـلامي الصحيـح، فقد أيقظ الإمام الحسين عليه السلام الفكر والهمم مـن خـلال شـعاره المتدفـق المشـحون بالبطولة والتحدي، فقد قال عليه السلام: (وإن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم).

إن ثـورة الإمـام الحسـين السـبط الشـهيد تمتاز بخصائص تنفـرد وتتميز بهـا، بوصفها امتداداً وتأكيداً لرسـالة

السماء، رسالة الإسلام الخالدة، فقد توضح هذا وتأكد من خلال ما ذكره جده المصطفىﷺ: (حسين مني وأنا من حسين)، وقد تجسدت بالفعل هذه المقولة وتمثلت بالواقع (إن الإسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء)، نتيجة للتضحية والفداء بكل ما يعنيه ذلك، فقد أظهر وأثبت أبو الشهداء بثورته الخالدة مدى فاعلية الإيمان الصادق العميق في الثبات والدفاع لرفع راية الإسلام خفاقة، على الرغم من تكالب وكيد قوى الشر والرذيلة، تدفعها أيدي الحاقدين من منافقين ومارقين ومن دار في فلكهم، لذا كانت هذه الثورة نداءً مدوياً إلى كافة الأحرار في العالم أجمع، للتخلص من الذل والمهانة والعبودية، فكانت هدىً ومناراً ومشعلاً وضاءاً لاستلهام العبر والمعاني السامية لشحذ الهمم والعزائم ورفع المعنويات لرد الكيد إلى نحور الظلمة، وما ذكره (المهاتما غاندي) الرجل الأول في شبه القارة الهندية يؤيد عالمية الأهداف التي نادى بها الإمام الحسينعليه السلام حيث قال: (علمتني ثورة الحسين كيف أكون مظلوماً حتى أنتصر لحقي).

ونحن نعيش مأساة كربلاء في شهر أحزان آل محمد، علينا استعراض ماهية ومكانة هذا الشهر من خلال قراءة النصوص القرآنية وغيرها تلك الموجودة في ثنايا التاريخ الإسلامي، لتتوضح الصورة على جميع الصعد ، فقد ورد في القرآن الكريم: (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم)(سورة التوبة:٣٦)، فمن خلال تفسير النص القرآني، كانت الأشهر الأربعة الحرم هي: ذا القعدة وذا الحجة ورجب ومحرم الحرام، فضلا عن أن لهذا الشهر مكانة مقدسة في الديانات الأخرى من غير الإسلام.

وكان لشهر محرم الحرام وبالذات ليوم العاشر منه، صوت مدوٍ وصدى رهيب على مر التاريخ.

لم يُقدم الحسين الثائر على مشروعه الجهادي التضحوي عفويا تلقائياً أو من فيض العاطفة، قالعليه السلام: (والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد)، وكانعليه السلام يعبّأ للحركة ويمهد للنهضة، ويستنهض للثورة فتراه يراسل الأقاليم والأمصار ويبعث الكتب ويجمع الأعوان والأنصار، فمؤدى كلامه (لا أعلم أصحاباً أو أنصارا أبرُ وأوفى منكم) يتجلى فيه التفاني الأعظم للحق وصاحبه، وفي مضمون جميل آخر تتجسد فيه فعالية الثورة نرى جون مولى أبي ذر الغفاري يباهي الدنيا بأسرها وهون يقول:(من مثلي وأبن رسول الله واضع خده على خدي...).

إنها صور مضيئة من ثورة الحق والفداء على الظلم والطغيان والانحراف فهي دروس وعبر وعظات لكل الأحرار الذين ينشدون الحياة الكريمة، وليس الجهاد كما يفهمه الأرهابيون الظلاميون الذين اتخذوا من الدين ستاراً يسدلون به على أعمالهم الإجرامية، فلم يفهموا من التشريع الإسلامي إلا ما بثه لهم خطبائهم الذين ألفوا الجمود والتحجر والفهم المغلق منهاجاً ثم مابرحوا يصنفون الناس يكفرون هؤلاء ويعادون أولئك، بعدها شرعوا في قتال المسلمين

وجعلهم أضاحي فكرهم السقيم الذي لا يمت للإسلام بصلة، وكان للدعم المستمر من قوى الاستكبار لهم دوراً في تطويع مصطلحات الشهادة والجهاد وغيرها بحيث يغوون بها السُذّج والشباب اللاواعي ويزجون بهم في عمليات انتحارية تحصد آلافاً من الأبرياء الذين يتعايشون في وطن واحد مسالمين يرغبون بحياة آمنة.

وكان الخطاب السياسي الموجه لهؤلاء المجاهدين على حد تعبيرهم يتضمن (أقتل)، والبرنامج العملي (أختطف) والأسلوب الحياتي (حز رأس أخيك المسلم)، حتى عد القتل أسلوباً اعتادوه في حياتهم، ثم لجوءا إلى استخدام سياسة التهجير بعدما امتلأت أيديهم من دماء المؤمنين، فهذا ديدن الجبناء أصحاب النفوس المريضة الذين يحاربون كل أصيل ونبيل، وقد افتضحت أساليبهم وانكشفت غاياتهم أمام الرأي العام فباءت محاولاتهم بالفشل ولهم في الآخرة عذاب أليم.

إذن شتان بين من ينادي بحي على الجهاد وهو أهل للجهاد، يجري في نفسه كمجرى الدم في الشريان، سائراً على نهج المجاهدين الأوائل كعمار وحجر وأنظارهم من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وذلك الذي يرفع شعارات لا تمت للواقع بأدنى صلة، ينتقي العبارات وينمقها حتى يصطاد بها من يشاء.

فسلام على رمز الجهاد، سلام على الشهيد الذي ولد في حجر الرسالة وترعرع في ظلال الإيمان والقدسية، بين محمد وعلي وفاطمة، سلام على من أُستشهد من اجل الإسلام والإصلاح ،وجعلنا الله من المسترشدين بنوره، نستلهم منه العبرة قبل العَبرة، ونأخذ بمحجته طريقاً لاحباً يفضي بالناس إلى مجتمع قائم على أسس إيمانية واخلاقية سيراً على خطى آل البيت عليهم السلام ■

فضل تربة الحسين عليه السلام

* عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

«لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله (عليه السلام) وحرمته وولايته أخذ له من طين قبره على رأس ميل كان له دواء وشفاء».

* عن محمد بن مارد، عن عمته، قالت: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

«إن في طين الحائر الذي فيه الحسين (عليه السلام) شفاءً من كل داء وأماناً من كل خوف».

* عن الحسين ابن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

«حنكوا أولادكم بتربة الحسين (عليه السلام)، فإنها أمان».

كامل الزيارات لابن قولويه ص:٤٦٧

من زار الحسين محصت ذنوبه كما يمحص الثوب في الماء

ومضة.. رسالة

د. محمد زوين ●

مدير مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

لم يكن التاريخ يوماً ملكاً لأحد وإن كثر الزائف فيه واشتهر محرفي الحقائق عبر العصور والسنين تثبت للتاريخ وجهاً آخر، يتحرر من أسر الطغاة وفراعنة الحكام.

لقد غذت دماء الأحرار حقائق التاريخ، وأضحت بها شموساً تسطع في مسارات الزمن تنبأ عن الصحيح وتحذر من الباطل والمنمَّق بمداد كتاب السلاطين ودراهم الملوك.

لقد عاود الحاكمون وحاولوا أخماد شعاع آل محمد صلى الله عليه وآله على مر الدهور وأختلاف الأساليب، والتفنن بالوسائل. والحال يبقى أن التاريخ ليس ملكاً لهم (ويأبى الله إلا أن يتم نوره).

هذه رسالة آل الله (صلوات الله عليهم) حري بنا قراءتها، جدير بنا فهمها:

إننا أبواب الله الداعون الى رحمته الموصلون اليه المنقذون عباده من الضلالة وحيرة الجهالة.

في كل عام تُجدد رسالة آل الله.. صفحاتها الأيام عنوانها تاريخهم مناسباتهم.

في كل عام لنا وقفات مع رسالة آل الله، مفتتحها ختامها واحد. أولها يصدق آخرها، ووسطها يصدق أولها وآخرها، إنها على سنخ كتاب الله المجيد لكنها واقع موضوعي حسي إنها تأويله.

ويأتي أبو عبد الله الحسين عليه السلام في مفتتح الرسالة كل عام ليجلي لنا المبدأ:

عهد الله هو الحياة ولا حياة دونه.

عهد الله كل الزمان كل المكان.

عهد الله التفاني في البذل، كل شيء لله.

التضحية بالنفس والأهل والأحبة والأصحاب..

هذه رسالة الحسين تجسّدٌ حقيقي للهدى الالهي مرآة للرحمة الألهية.

السيوف مشرعة لقتله..

وعيونه تبكي لمصير قاتليه..

مثّل الإمام سنة الله في خلقه (ولن تجد

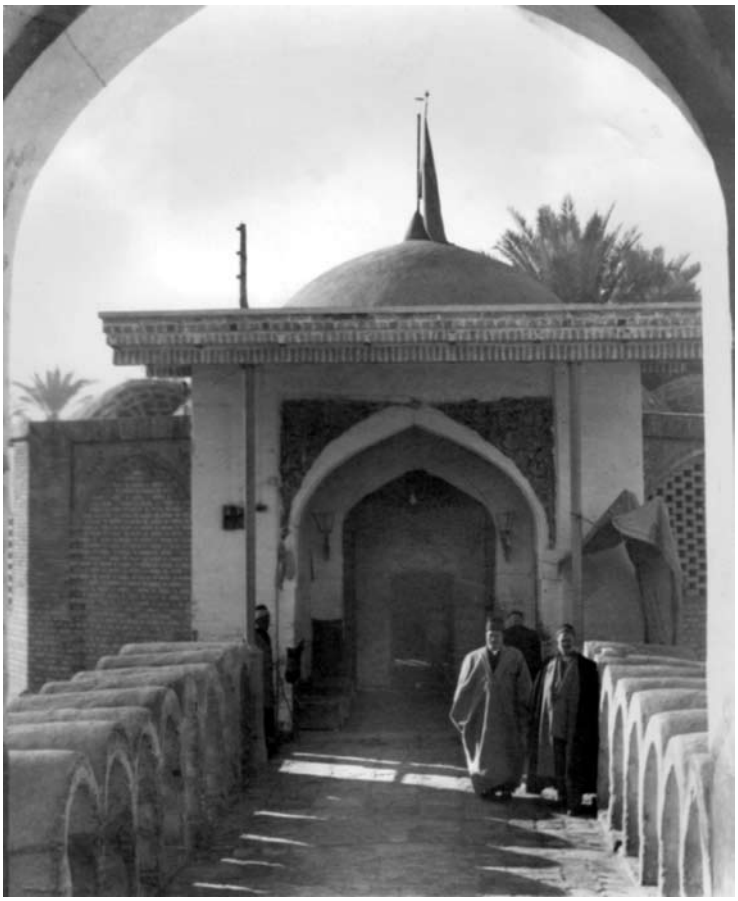

صورة نادرة للمخيم الحسيني في ستينيات القرن الماضي

لسنة الله تبديلا).

إحياء الدين ارتبط بدمه، وحياة الأحرار نبعت من أرضه وشعارهم اشتقّ من عنوان رسالته..

ويروى أن رجلاً سأل الإمام علي بن الحسين، سيدي من المنتصر؟ هذا الحسين مقطع على رمضاء كربلاء وأهله وصحبه مجدلين؟!

فقال عليه السلام: إذا سمعت الأذان يرفع حينها ستعلم مَن المنتصر.

الحسين رسالة الله..

الحسين انتصار الأذان..

انتصار الدين..

العيون الباصرة الواعية تقرأ الرسائل.

القلوب الحية الوجلة تفقه المعاني.

أعمارنا أعوامٌ..

شهورها تبدأ بالحسين، وتنتهي بالغدير، وتاجها عهد الله الذي لا ريب فيه ولا بديل عنه..

عهدنا مع الله..

رسالة الحسين والغدير،

حية متجددة...■

السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره

أجوبة مسابقة العدد (٢٠) وأسماء الفائزين

السؤال الأول: ب. خمسة

السؤال الثاني: أ. ١٢ ربيع الأول سنة ١ هـ

السؤال الثالث: ب. بعد النبوة بثلاث سنين، الحبشة

السؤال الرابع: أ. الإمام الحسن

السؤال الخامس: أ. المقداد السيوري

السؤال السادس: أ. السور القرآنية التي أولها التسبيح

السؤال السابع: ج. شهداء الفضيلة

السؤال الثامن: ج. دعاء الجوشن الكبير

السؤال التاسع: أ. الرابع

الفائزة بالجائزة الأولى: فضيلة حمزة محمد/ كربلاء المقدسة ـ حي العامل.

الفائزة بالجائزة الثانية: مائدة جعفر حسين/ بغداد ـ حي الإعلام.

الفائز بالجائزة الثالثة: باسم عبد الرزاق حمود/ الكوفة ـ كلية الطب.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

مسابقة العدد (٢٢)

١ لما غادر الحسين عليه السلام المدينة المنورة واتجه نحو مكة فنزلها، ثم أخذ يختلف إلى البيت الحرام حتى يوم التروية حيث خرج عليه السلام قاصداً العراق. فكم يوماً مكث في مكة تقريباً؟

أ ـ ٩٠ يوماً

ب ـ ١١٢ يوماً

ج ـ ١٢٤ يوماً

٢ «فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً» فقرة من بيان أصدره الحسين عليه السلام أثناء الطريق يبين فيه هدف نهضته المباركة، ففي أي مكان كان ذلك؟

أ ـ عذيب الهجانات

ب ـ واقصة

ج ـ ذو حسم

٣ بدأت الرسل تقبل على الحسين عليه السلام، الواحد تلو الآخر، فكان أول الرسل: عبد الله بن مسمع وعبد الله بن وأل. ففي أي يوم دخلا عليه؟

أ ـ ١١ رمضان

ب ـ ١٥ رمضان

ج ـ ٢١ رمضان

٤ **يا أبا الطف وازدهى بالضحايا**
من أديم الطفوف روض خميل
ثلة من صحابة وشقيق
ورضيع مطوق وشبول

أبيات من قصيدة لامية قيلت في حق أبي الشهداء عليه السلام، فمن القائل؟

أ ـ الشيخ أحمد الوائلي

ب ـ السيد مصطفى جمال الدين

ج ـ السيد جمال الدين الهاشمي

كوبون مسابقة

ينابيع

العدد (٢٢) محرم الحرام ـ صفر ١٤٢٩هـ

	أ	ب	ج
جواب السؤال الأول			
جواب السؤال الثاني			
جواب السؤال الثالث			
جواب السؤال الرابع			

٥ **يا دهر أف لك من خليل**
كم لك بالإشراق والأصيل

لما أنشد الحسين عليه السلام القول المتقدم كان بجواره رجل من أنصاره، فمن يكون ذلك الرجل؟

أ ـ نافع بن هلال
ب ـ جون بن حُوَي
ج ـ عمرو بن قرظة

٦ كان للمرأة دور مشرف يوم الطف، فقد ساهمت في شحذ همم الأنصار بل البعض قاتلن في ساحة الحرب، فكم امرأة نزلت إلى ساحة الحرب وردها الإمام الحسين عليه السلام؟

أ ـ ٢ ب ـ ٤ ج ـ ٦

٧ اللهوف في قتلى الطفوف، من المقاتل المعتبرة التي تكفلت بنقل رحلة الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء وعودة عياله إلى المدينة، فمن ألّف هذا الكتاب؟

أ ـ عبد الكريم بن طاووس
ب ـ علي بن موسى بن طاووس
ج ـ محمد بن طاووس

٨ لما قتل حبيب بن مظاهر بان الحزن على وجه الحسين عليه السلام وقد عبّر عن حزنه بما قاله. فماذا قال؟

أ ـ أحتسب نفسي وحماة أصحابي
ب ـ فقدك هدّ ركني
ج ـ على الدنيا بعدك العفا

٩ قال الإمام الباقر عليه السلام: «يا علقمة إن استطعت أن تزور الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من دهرك فافعل» فأي زيارة قصد الإمام؟

أ ـ زيارة وارث
ب ـ زيارة عاشوراء
ج ـ زيارة الأربعين

	أ	ب	ج
جواب السؤال الخامس			
جواب السؤال السادس			
جواب السؤال السابع			
جواب السؤال الثامن			
جواب السؤال التاسع			

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثانية: ٥٠،٠٠٠ دينار.
الجائزة الثالثة: ٢٥،٠٠٠ دينار.
يتعين الفائز بعد إجراء القرعة.

شروط المسابقة

* **الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط.**
* **يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات.**
* **آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ربيع٢/١٤٢٩هـ.**